لـمحات نقـدية
فى ديوان
عشرون ليلة فى الأحزان
للشاعر الدكتور/ محمد محمد محمود الغرباوى

أستاذ الأدب والنقد وعميد كلية اللغة العربية بالزقازيق

عرض وتحليل

أ.د/ حسن عطية أحمد طاحون

أستاذ الأدب والنقد بكلية

اللغة العربية ـــ جامعة الأزهر ـــ بالزقازيق

تقديم:

أ.د/ محمد عبدالحميد السيد غنيم

أستاذ الأدب والنقد.وعميد الكلية سابقا

١٤٣٧هـــ = ٢٠١٦م

تنويــة

يرجى التنبه بان الإحالات الوارده بالدراسة

ترتبط بالديوان الأصلى للشاعر

وترتبية فى هذا الكتاب من ص ٧٦ ـ ١٤٣

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد..

فإن فن الرثاء من أقدم فنون الشعر، وهو يقترن بالموت، وقد عرفه الإنسان منذ فجر التاريخ، حيث نسب بعض المؤرخين أبياتا من الشعر إلى أبينا (آدم) عليه السلام، عندما علم بقتل ولده هابيل على يد أخيه قابيل، فقال فيها يبكى ولده:

تغيرت البلاد ومن عليها ∴ فلون الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى لون وطعم ∴ وقل بشاشة الوجه المليح[1]

وديوان: "عشرون ليلة فى الأحزان" للشاعر الدكتور/ محمد محمود الغرباوى قد اشتمل على ثنتين وعشرين قصيدة، كلها ناطقة بالأسى، مفعمة بالحزن،

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ / ٤٦ مكتبة التراث الإسلامى — حلب ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

محملة بالحسرة واللوعة، وهى تكشف عن أعماق الشاعر، وعن قلب مكلوم أرهفه الفراق، ونفس ملتاعة، أضناها الحزن، وعينين مَمْلُوأَتَيْن بالدموع، وكل عنوان من عناوين القصائد يعبر تعبيرا صادقا عما يعانيه شاعرنا ويكابده .

وشكل الديوان وتصميمه، يزيد المتلقى حزنا على حزن، وحرف الجر "فى..." يدخل القارئ فى عالم الأحزان الذى سيطر على شاعرنا الذى لا يكفكف دمعه، ومن ثم كانت "عبراته" مقروءة على الديوان من خارجه، وتملؤه بغزارة من داخله، من بدايته حتى نهايته، وذلك حال بينى، وبين كتابة دراسة عن هذا الديوان أشارك بها أخى أ.د/ محمد الغرباوى أحزانه، وتكون لمسة وفاء منى للأخت العزيزة الفقيدة أ.د/عطيات الطهراوى التى ظلت تعطى بحب، وإخلاص، وتفان، حتى فارقت الحياة، ولكنى لم أتمالك نفسى لحزنى عليها.

وعندما أخبرنى أخى أ.د/ حسن طـــاحون بكتابـــة دراسة عن هذا الديوان حمدت الله حمدا كثيـــرا؛ لأنـــه بصنيعه ــ الطيب هذا ــ أغنانى عن الكتابة، وحقق ما كنت أريده من الكتابة وفاء للشاعر والفقيدة.

وجاءت دراسة الدكتور/ حسن طاحون فى ست وخمسين صفحة، استهلها بمقدمة أتبعها بثمانية أقـــسام لتلك الدراسة، وهى دراسة متأنية جادة جامعة؛ تكشف عن ناقد بصير، عالم بمواطن الجمال فى الشعر، وهو لم يترك شاردة ولا واردة إلا وعرض لهـــا بالتحليـــل السديد، والتعليل المفيد.

وأتفق مع الناقد والشاعر فى ذلك الختام الموفـــق الذى ختم به الشاعر ديوانه، حيث أتى بقصيدته التـــى قالها عن زواج الرسول ــ ﷺ ــ من السيدة خديجة ــ رضى الله عنها ــ وهى مدونة فى (منظومـــة الـــسيرة النبوية للأطفال)؛ وذلك للتعبير عن حبه ووفائه للفقيدة،

واقتداء بالرسول الكريم ـ ﷺ ـ فى صنيعه مع السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ فى حياتها وبعد وفاتها.

فجزى الله شاعرنا خير الجزاء، وجزى ناقدنا ـ على ما قدم ـ أعظم الجزاء، ورحم الله فقيدتنا رحمة واسعة، وأسكنها فسيح جناته مع الأبرار والصالحين.

وأترك القارئ الحصيف مع تلك الدراسة الممتعة، وهذه القطوف اليانعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أ.د/ محمد عبدالحميد غنيم

أستاذ الأدب والنقد

والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالزقازيق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد

فإن فن **(الرثاء)** من الأغراض الشعرية القديمة التى ترتبط بالموت، وهو غرض يتوارى فيه الكذب، والنفاق، والتملق؛ لأن الراثى لا يبغى من ورائه جزاءً ولا شكورًا إلا تعداد محاسن المرثى، وبيان أثر فراقه على المحيطين به من أهله، وذويه، ومحبيه.

ويفرض **(الرثاء)** نفسه عند موت أحد الأحبة والمقربين كالابن، والزوج، والصديق، والأب أو الأم، أو الجار، أو الإنسان القريب إلى قلب **(الراثى)**، ولكن هذا الراثى لا يستطيع التعبير عما فى نفسه إلا إذا كان موهوبا ومتمكنا من ذروة البيان فيجيد، ويكون أكثر إجادة عندما يرى الموت يتخطف الأحبة، ولا يقف أمام جبروته أحد، ولله در القائل:

إنَّ الحبيب من الأحباب مختلس

لا يمنع الموت بواب ولا حرس

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها

يا من يعد عليه اللفظ والنفس؟

لا يرحم الموت ذا جهل لغرته

ولا الذى كان منه العلم يقتبس!

كم أخرس الموت فى قبر وقفت به

عن الجواب لسانا ما به خرس!

قد كان قصرك معمورا له شرف

فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

والديوان الذى بين أيدينا: **(عشرون ليلة فى الأحزان)** ينقل تجربة قاسية مرَّ بها مؤلفه الشاعر الموهوب أ.د/ **محمد محمد محمود الغرباوى** أستاذ الأدب والنقد وعميد كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر ــ فرع الزقازيق، حيث فقد زوجه، وأم أولاده

أ.د/**عطيات أحمد الطهـراوى** ــ أستاذ علم النفس بكلية الآداب ــ جامعة الزقازيق ــ بعد صراع عنيف مـع مرض عضال صاحبها لما يقرب من سـت سـنوات متصلة، فأخذت بالأسباب طلبا للشفاء وتـرددت بـين المعامل والأطباء، إلى أن أذن الله ــ جـل جلالـه ــ برحيلها عن دار العناء إلى دار الخلـود والبقـاء فـى صباح يوم الأربعاء الثالـث مـن ذى الحجـة عـام ١٤٣٦هــ الموافق للسادس عشر مـن سـبتمبر عـام ٢٠١٥م، فأنهكته الأحزان، وهام فى أوديتها تتجاذبـه الذكريات المؤلمة، وتجدد أوجاعه نظراته إلـى أولاده الصغار،ويعيش بين مد وجزر فى بحر المشاعر،ويأذن فؤاده للكلمات بالبوح والخروج، وينظم هذا الديوان فى عشرين ليلة، فكان متنفسا لزفراته، وآهاته، وأناته !!!

وهذه الدراسة التى تتحدث عن الديوان تتمثل فـى ثمانية أقسام هى: التعريف بكاتـب الـديوان، وسـبب تأليفه، ودلالة عنوانـه وغلافـه، وعنـاوين قـصائده وصلتها بالمطالع، وبيان الحقول الدلالية للألفاظ التـى

استخدمها الشاعر للتعبير عن أحزانه، وإيضاح صفات المرثية من خلال الشعر، والتصوير الشعرى لتلكم الأحزان، ومضامين الدعاء الذى تمناه الشاعر للراحلة ـ رحمها الله رحمة واسعة، وأسكنها الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا ٠

وإتماما للفائدة رأيت أن ألحق الديوان كاملاً بهذه الدراسة؛ ليقف القارئ الكريم على القصائد بنفسه؛ ويرى ما فيها من مشاعر فياضة، وألفاظ منتقاة، وصياغة محكمة . ﴿وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١) .

أ.د/ حسن عطية أحمد طاحون
أستاذ الأدب والنقد بكلية
اللغة العربية بالزقازيق
الزقازيق: فجر الأربعاء ٦ رجب ١٤٣٧هـ
الموافق ١٣/ ٤/ ٢٠١٦م

---

(١) الآية ٨٨ هود ٠

القسم الأول

التعريف بالشاعر

هو: الأستاذ الدكتور الشاعر/ **محمد محمد محمود الغرباوى** ولد فى ١٩٦٢/٢/٦م فى قرية **(بنى عـــامر)** مركز الزقازيق، محافظة الشرقية.

وحفظ القرآن الكريم فى سن مبكرة، ثـــم التحـــق بمعهد الزقازيق الأزهرى، وحـــصل علـــى الثانويـــة الأزهرية عام ١٩٧٩م، ثم التحق بكلية اللغة العربية ـــ جامعة الأزهر ـــ بالزقازيق وحصل علـــى الإجـــازة العالية عام ١٩٨٣م، ثم عين معيدا فـــى قـــسم الأدب والنقد بالكلية عام ١٩٨٥م، ثم حصل على الماجـــستير عام ١٩٨٩م ثم الدكتوراه عام ١٩٩٣م، ثم رقى بعـــد ذلك إلى درجة **(أستاذ مساعد ـــ فأستاذ بقـــسم الأدب والنقد)** ثم عين وكيلا للكليـــة فـــى ٢٠١٤/٣/٢م، ثـــم عميدا للكلية ذاتها فى ١٤/ ٩/ ٢٠١٥م قبل وفاة زوجه بيومين اثنين!!!

مؤلفاته:

للشاعر الدكتور/ محمد محمود الغرباوى عدة مؤلفات نقدية، وإبداعية، تقدم ببعضها للترقى إلى درجتى (**أستاذ مساعد**) و(**أستاذ**) وهى منشورة فى دوريات مختلفة.

١- **الأبحاث النقدية**: الشعر المرتجل فى كتاب بدائع البدائه، وشعر القاضى الجرجانى، ومعارضة البارودى للمتنبى، ومآخذ الجرجانى على أبى تمام فى الوساطة، من وصايا الخلفاء الأمويين لمؤدبى أولادهم، من أدب الصبيان والغلمان فى الجاهلية والإسلام، فتح عمورية وبناء قلعة الحدث بين أبى تمام والمتنبى، قراءة نقدية فى مسرحية: (**شهيد بنى عذرة**) لهاشم الرفاعى، رسائل الفقهاء والزهاد للخلفاء الأمويين، أحكام الشعراء على أشعارهم وأهليهم، أشعار لها مواقف فى تراثنا الأدبى.

٢ـ **أعماله الإبداعية**: منها ديوانه: **(الأعمال الشعرية الكاملة، أشعارى حتى الخمسين)** وهو يزيد على أربعمائة صحيفة من القطع المتوسط وتبدو فيه المشاعر الصادقة، والعبارات القوية والصور والأخيلة التى تكسب الشعر حياته وبقاءه، بالإضافة إلى عدد من الأعمال الإبداعية التى قدمها للأطفال، وآخر هذه الإبداعات ديوانه الذى بين أيدينا فى هذه الدراسة: **(عشرون ليلة فى الأحزان)**.

وقد عمل الشاعر/ الدكتور فى العديد من الجامعات المصرية والعربية، بالإضافة إلى التدريس فى **(جامعة الأزهر)** وبعض كلياتها المنتشرة فى ربوع مصر، كما أشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى الشعر، والنقد، والقصة، والمسرحية، والرواية.

القسم الثانى

سبب إبداعه ديوانه: (عشرون ليلة فى الأحزان)

تزوج الشاعر الدكتور **(مؤلف الديوان)** من تلكم السيدة الفاضلة التى عملت معه فى الحقل الجامعى، وقد ابتدءا رحلة الحياة العلمية، والاجتماعية معا، وتدرجت المرثية/ زوجه فى كليتها من معيدة إلى مدرس مساعد، إلى مدرس ثم أستاذ مساعد، ثم أستاذ بقسم علم النفس بكليتها، وشاركته الحياة بسرائها، وضرائها، بأفراحها وأتراحها، وتنقلت معه إلى البلدان التى سافر للعمل فيها، ومعهما زينة الحياة الدنيا: **(أبناؤهما الأربعة)** محمود المولود عام ١٩٩٠م، أحمد المولود عام ١٩٩٢م، حامد المولود عام ١٩٩٤م، أريج المولودة عام ٢٠٠٠م، إلى أن انتهت مدة العمل خارج مصر، ثم استقر بهم المقام فى بيت بَنَوْه فى مدينة **(الزقازيق)** عام ٢٠٠٧م، ومع ذلك لم ينقطع عن قريته ووالديه، وإخوته، وأخواته، وكذلك الراحلة/ المرثية بالنسبة لذويها، وأقارب زوجها، ولم يتوقف الأمر عند

ذلك، فقد كانت تكرم الأضياف وتحسن التعامل مع الناس (**الأقارب وغيرهم**)، وتحظى بتقدير كل من يتعامل معها.

وفى عام ٢٠١٠م أراد الله ـ جل جلاله ـ أن تبتلى هذه السيدة الفاضلة بمرض ما، فطرقت أبواب الأطباء طلبا للعافية والشفاء، علَّها تجد دواء لسقمها، وعافية لبدنها، ومكثت على ذلك لما يقرب من ست سنوات، وظلت متماسكة وقوية، توزع رعايتها على زوجها، وأبنائها، وعملها، ومتطلبات بيتها، وذوى رحمها إلى أن لحقت بالرفيق الأعلى فى صباح يوم الأربعاء الثالث من ذى الحجة ١٤٣٦هـ الموافق ١٦/٩/ ٢٠١٥م.

وفى هذا التوقيت تحدث ثلاثة أشياء سببت للشاعر أحزانا جمة:

الشئ الأول: أنها رحلت بعد تعيينه عميدًا للكلية بيومين فقط، ولم تشاركه فرحته بهذه الأمنية التى طالما

دفعته إليها، وقد تمنى أن تكون إلى جواره لترى ثمرة إخلاصها وحبها . يقول الشاعر:

جـــاءت لى "العمـــادة" ∴ لم تحمـــل الـــسعاده !
ماتـــت حيـــاة قلبـــى ∴ مـــا قيمـــة الريـــاده ؟
ســـعت لهـــا بـــدفعى ∴ ومـــا بغـــت قيـــاده
عليهــــا آثرتنـــــى ∴ فـــى الجـــاه والـــسياده[1]

الشئ الثانى: رحيلها قبيل عيد الأضحى بسبعة أيام مما زاد من حزنه عليها ، وحزن أولاده الذين غشيتهم ملامح اليتم:

وجـــاء العيـــد محزونـــا يواســـينا
يكفكـــف دمعـــه البـــاكى ولا ينفـــك يأســـونا
فـــأين بـــشاشة الرضـــوان تغمرنـــا
وأيـــن ســـكينة الأم التـــى كانـــت تغـــشينا؟

(١) ديوان: عشرون ليلة فى الأحزان صــــ٥٠ . ط/ مكتبــة المهدى بالزقازيق ٢٠١٥م٠

وأيـــن الأنـــس؟ أيـــن العهـــد يجمعنـــا

تبخَّــر ســاعة الأحزانِ، قــد ماتــت أمانينــا[١]

الــشئ الثالــث: استعداده للاحتفال بالذكرى السابعة والعشرين لزواجهما فى السادس من أكتــوبر[٢]، وإذا بها تفارقه قبل هذه الذكرى، وتتركه فريدًا بائــسا فِــى هذه الحياة تتجاذبه الذكريات، وينفطر قلبه عند نظــره لأولاده الذين رحلت عنهم الأم/ المرثية، وتــركتهم ــ بأحزانهم ــ فى عنق أبيهم:

اليـــوم عيـــد زواجنـــا لم يكتمـــل

عـــشرون يومـــا قبلـــه حـــان الأجـــل!

مــن ربــع قــرن أو يزيــد ونحــن فــى

شــغف لهــذا العيــد يــا نــور الأمــل

---

(١) السابق صـــ١٣ .

(٢) عام ١٩٨٨م.

ذابـــت شمـــوع موائـــدى فـــى حـــسرة

وفتيلـــــها الريـــــان يـــــأبى يـــــشتعل!

و"التورتـــة" الخرســـاء بـــاء لـــسانها

بمـــرارة الأحـــزان يلعـــق مـــا هطـــل! [1]

فى خضم هذه الأحداث المفاجئة، وفـــى متاهـــات الآلام المتلاحقة يعيش الشاعر عشرين ليلة فى أعمـــاق أحزانه، فتبـــوح قريحتـــه بهـــذه القـــصائد (**الاثنتـــين والعـــشرين**) التى يشتمل عليها الديوان، ويقترب عـــدد أبياتها من (**الثلاثمائة بيت**) من الشعر الموزون المقفى، ينقل من خلالها تجربة صادقة، أسعفته فيهـــا ألفـــاظ، وعبارات منتقاة، وعاطفة قوية تجاه أم أولاده ـــ أجزل الله مثوبتها ٠

(١) الديوان ٦٣/ ٦٤ ٠

القسم الثالث

عنوان الديوان ووصف غلافه

للعنوان وقع عظيم فى نفس المتلقى، فهو أول ما يواجه بصره، ويطرق أذنه، وله دلالة كبرى على مضمون العمل الإبداعى، وهو الواسطة الحقيقية بين المتلقى والمبدع، ومن المؤكد أن كاتب العمل يعطى كتابة عنوانه ما أعطاه للعمل من عناية واهتمام[١].

أولا: عنوان الديوان:

وعنوان الديوان الذى بين أيدينا: (**عشرون ليلة فى الأحزان**) له دلالات عديدة، وكلها متصلة بالحدث الجلل الذى مرَّ به الشاعر، وقد تبعته أحداث وذكريات قد مرّ ذكرها من قبل . ولكننى سأقف عند الكلمات التى اختارها الشاعر لصياغة عنوانه.

---

(١) العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبى صـ٧ بتصرف د/محمد فكرى الجزار . ط/ الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٦م.

فلفظ: **(عشرون)** يدل على معاناة الشاعر فى تلك المدة، فقد أحصاها، وعدها عـدًّا ، وكتبـت ـ علـى صفحة الغلاف ـ بالمداد الأبيض لتوقع مـرور تلـك الليالى، وحدوث انفراجة تهون عليه ما هو فيـه؛ لأن المصائب ـ من فضل الله ـ تبدأ كبيرة ثم تنتهى إلـى التلاشى والانحسار، ولا شك فى أن الليلة الثانية غيـر الأولى التى حدثت فيها مصيبة الموت، والثالثة غيـر الثانية وهكذا، فلفظ **(عشرون)** فيه تخفيف وتسلية مـن الشاعر لنفسه.

ثم تأتى بقية العنوان: **(... ليلـة فـى الأحـزان)** فخص **(الليلة)** بالـذكر لتتـابع الهمـوم والـذكريات وتكاثرها فى ذلك الوقت؛ نظرًا لهدأة الليـل، ووحـدة النفس، وانصراف الأهل والخلان عن الإنسان الحزين الذى لا يعلم ما به إلا ربه ـ عزوجل ـ ونفسه التـى ذاقت الأسى والحرمان.

واختار حرف الجر: **(فى)** للدلالة علـى إحاطـة الأحزان به من كل جانب، فكأنها ظرف وهو مظروف بداخله، كما يدل هذا الحرف على التداخل والانغمـاس فى الشئ والانصهار فيه.

ثم تأتى كلمة: **(الأحـزان)** بصيغة الجمع للإيحـاء بكثرة الأوجاع والآلام، وغزارة الأسى الـذى سـيطر على الزوج والأسرة، فالأحزان لا تتوقف عند الشاعر، ولكنها تنمو وتتجدد عندما يطوف غرفات بيته فلا يجد الزوجة، وعندما ينظر فى أعين أولاده ويرى تـألمهم بسبب فراق والدتهم، ويزداد الأسى عنده عندما يـرى بؤس ابنته الصغرى **(أريـج)** بنت الستة عشر ربيعـا، وهى الوحيدة التى ذكر اسمها فى هذا الديوان؛ نظـرا لتعلقها الشديد بأمها.

وكتبت عبارة: **(... ليلة فـى الأحـزان)** بالمـداد الأحمر على غلاف الديوان للدلالة على انبثاقهـا مـن قلب قائلها وفكره، ولا شك فى أن حمرة الدماء تحمـل

الكثير من الآلام والأحاسيس، بالإضافة إلى الخلايا والخصائص الطبية الضرورية لاستمرار الحياة.

ثانيا: وصف الغلاف:

أما غلاف الديوان فقد تعاطف مع العنوان الذى اختاره الشاعر، حيث توشح بالمداد الأسود الذى يلبس ــ عادة ــ عند الحداد على الميت، ولم يتوقف الأمر عند الصفحة الأولى للديوان، ولكنه امتد إلى الصفحة الأخيرة منه، وكأنه لبس ثوبا سابغا من الأحزان التى بثها الشاعر على صفحات تلك الأوراق.

ثم ننتقل إلى ثلاثة أشياء مرسومة على غلاف الديوان:

الشئ الأول: (قلب) بالمداد الأحمر، وهو بالجهة اليسرى من أعلى الديوان، وقد انشطر هذا القلب بعد رحيل الزوجة/ المرثية، فى إشارة إلى قوة العلاقة بين الزوجين، فلا يمكن أن يعيش المرء بنصف قلب، وفى هذا يقول:

لهف نفسي مات نـصفي ∴ فبـــدا لى كـــل ضـــعفي!

لم تكن زوجـي وحـسبي ∴ إنمـــا تـــسرى بطيفـــي[١]

الشئ الثانى: (عين دامعة) فى منتـصف صـفحة الغلاف تجمع بين المداد الأبيض والرمادى، فى إشارة منه إلى التغلب على المحـن والخطـوب، والتـشبث بالتفاؤل والأمل مهما عظمت الأحزان، وكأنى بالشاعر وهو يتمثل قول النبى الكـريم ـ ﷺ ـ : "إن العـين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا مـا يرضـى ربنا"[٢].

الشئ الثالـث: (صورة رجل) أشعث أغبر، رسمت بالمداد الأسود، ووضعت فى أسفل الجهة اليمنى مـن صفحة الديوان، وقد أطرق برأسه إلى الأرض، وهيمن عليه الوله والسهاد، ويجلس وحيدًا علـى جـزء مـن الصخر، واضعا يديه على فخذيه، لا يأبـه ولا يبـالى

---

(١) الديوان/ ٥٦ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

بمباهج الحياة، وعرضها الزائل، ونلمح ـ من خلال ذلك ـ أن عنوان الديوان بمداده الأحمر، وما توشح به الغلاف من مداد أسود قد وضع فوق رأس ذلك الشخص البائس، الشاخص ببصره إلى أسفل، وفى ذلك إشارة إلى أن الأحزان والأفكار تتغلب على فكره، وتتثاقل على جسمه الهزيل، وقد استسلم لها بعض الوقت ... وفى نظره إلى الأرض إيحاء بعتابه لها: كيف ابتلعت شطر قلبى، ورفيقة دربى، وأم أولادى، وخلفت لنا الحسرات والتأوهات والآلام المبرحة؟!

وتستمر صورة العين، وصورة ذلك الشخص الأشعث على الصفحات الداخلية للديوان: **(ثمان وستون صفحة)** بوصفها خلفية ممتدة فى إشارة إلى استمرارية ذلك الصراع الداخلى **(للشاعر)** بين العين الدامعة والعين المتفائلة التى تحاول التخلص من الإحباط والحزن، وتنظر إلى المستقبل فى الآفاق.

إن عنوان الديوان، وإعداد غلافه، وعناوين قصائده من العتبات المهمة لفهم النص: "وإن عنصرا ما، ربما كلمة أو إشارة، أو رمزا، أو أيقونة، أو لونا، يمكن أن ينال استحقاقا عتباتيا، إذا ما صاحب النص بشكل مخطط وهادف"(١) وهذا ما تحقق في عنوان الديوان الذى بين أيدينا، وغلافه.

(١) عتبات النص الشعرى الحديث فى شعرية المعاصرة ومعاصرة الشعر صـ٧ د/ صادق القاضى. ط/ نادى نجران الأدبى سنة ٢٠١٤م.

القسم الرابع

عناوين القصائد ومطالعها

أولا: عناوين القصائد:

لسنا فى حاجة إلى تكرار الكلام حول أهمية **(العنوان)** وبيان وقعه وصداه على النفس؛ لأنه يحمل فى طياته مضمون القصيدة كما حمل عنوان الديوان مضامين القصائد التى يشتمل عليها: **(من قريب أو بعيد)**٠

هذا. وقد أحصى بعض النقاد[١] عناوين القصائد فى الإبداع الشعرى ـ بصفة خاصة ـ وحصرها فى ثلاثة عشر نوعا ـ حسب استقرائه ـ وهى:

(١) العنوان/ الاسم مثل: **(أمانيها)**٠

(٢) العنوان/ المطلع أو الخاتمة مثل: **(مات نصفى)**٠

---

(١) هو: عبدالله سليم الرشيد فى كتابه: مدخل إلى دراسة العنوان فى الشعر السعودى من صـ٢٣ إلى صـ٥٣ ط. النادى الأدبى بالقسيم سنة ١٤٢٩هـ٠

(٣) العنوان/ البيت أو الشطر من القصيدة.

(٤) العنوان/ الوزن مثل: **(صرخة قاتلة)** علـــى وزن المتدارك[١].

(٥) العنوان/ الوصف مثل: **(الليلة الأخيرة)**[٢].

(٦) العنوان/ الإنشاء.

(٧) العنوان/ البديع مثل: **(عيد بلا عيد)**[٣].

(٨) العنوان/ الاقتباس أو التضمين .

(٩) العنوان/ التأملى مثل: **(شريط الذكريات)**[٤].

(١٠) العنوان/ الرمز.

(١١) العنوان/ الصورة مثل: **(خيمة من يُتم)**[٥].

(١٢) العنوان/ القصيدة.

---

(١) ديوان الشاعر/ ١٥ .
(٢) ديوان الشاعر/ ٤٤ .
(٣) السابق / ٦١ .
(٤) السابق/ ٤ .
(٥) السابق/ ٦٠ .

(١٣) العنوان/ الصمت، وهو ما يشار إليه بعلامة الحذف (....) أو الفراغ (   ) أو علامة استفهام؟، أو علامة تعجب!!! أو نحو ذلك. ونسى هذا الناقد نوعا مهما من العناوين وهو: العنوان/ الجملة الفعلية مثل: **(وتداخلت الأحزان)**[١] **(وجاءتنى العمادة)**[٢] **(مات نصفى)**[٣].

الجدير بالذكر أن هذه العناوين ليست ثابتة عند كل الشعراء، وليست مطردة، فقد ينظم شاعر قصائده على جلها، أو بعضها، أو يزيد عليها أو ينقص، وهذا كله يرجع إلى موهبة المبدع، وسعة اطلاعه، وغزارة مفرداته اللغوية.

وبعد تصفح الديوان وجدت أن عشرين قصيدة منه بنيت عناوينها على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت،

---

(١) السابق/ ٢٥ .
(٢) السابق/ ٥٠ .
(٣) السابق/ ٥٦ .

والاستقرار والحزن الجاثم على وجدان الشاعر وفكره، وهذه العناوين هى[1]:

شريط الذكريات/ ٤ ــ الرجل اليتيم / ٦ ــ وقع الخبر/ ٩ ــ أمانيها / ١١ ــ يوم العيد / ١٣ ــ صرخة قاتلة/١٥ ــ من غير وداع/ ١٨ ــ إظلام/ ٢٢ ــ روحان/ ٢٨ ــ حديث الخاتم/ ٣١ ــ حروف لا تغيب/٣٣ ــ إيثار/٣٦ ــ حطام/٣٨ـــ احتفالها بالوكالة/ ٤١ ــ الليلة الأخيرة/ ٤٤ ــ اكتئاب/ ٤٧ ــ طريق النور٥٢ ــ خيمة من يتم/ ٦٠ ــ عيد بلا عيد/ ٦١ ــ ختام/٦٤ .

وهذه العناوين جاءت على أنها مبتدآت لأخبار مقدرة متروكة لفطنة القارئ ، أو أخبار لمبتدآت مقدرة أيضا، يضاف إلى ذلك أن اختيار هذه العناوين يرتبط تماما بنفسية الشاعر؛ لأن بناء "العبارة فى الحقيقة بناء

---

(١) سيأتى عنوان القصيدة أولا ثم يليه رقم الصفحة بالديوان.

خواطر ومشاعر، ومعان ومقاصد قبل أن يكون هندسة ألفاظ، وتصميم قوالب...." [(١)].

وبالديوان ثلاث قصائد صيغت عناوينها على الجملة الفعلية، وقد سبقت الإشارة إليها[(٢)].

والارتباط واضح ووثيق بين كلمة: **(الأحزان)** التى جاءت فى العنوان الرئيس للديوان، وبين عناوين القصائد التى توضح وتفسر تلك الأحزان، وقد وفق الشاعر فى اختيارها، فهى تحوم حول اليتم — والذكريات — والأمانى — والصراخ — والوداع — والإظلام — والأرواح — والإيثار — والحطام النفسى — والموت — والاكتئاب٠

وقد ختم الشاعر ديوانه بقصيدة استدعاها من شعره الذى نظمه للأطفال وأطلق عليها: **(ختام)**

---

(١) دلالات التراكيب صـ١٧٦، ١٧٧ د/ محمد أبوموسى — ط: الرابعة مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م٠

(٢) انظر ديوان الشاعر ٢٥/ ٥٠/ ٥٦ هذه القصائد هى: وتداخلت الأحزان، وجاءتنى العمادة، ومات نصفى٠

وأوضح ــ من خلال التمهيد لها[١] ــ تسليمه المطلق ورضاءه بما خطه القضاء، وأجراه عليه القدر فى تلك المحنة القاسية، وقد قطع على نفسه عهدا أن يكون وفيا لزوجه / المرثية، مقتديا ــ فى ذلك ــ بالرسول الأسوة ــ ﷺ ــ فى حبه ووفائه لزوجه السيدة **(خديجة)** ــ رضى الله عنها وأرضاها ــ.

وبهذا الختام تتأكد الصلة القوية بين عنوان الديوان، وعناوين قصائده من ناحية، وبين عناوين القصائد من أولها إلى آخرها من ناحية أخرى، وكأن الديوان كله قصيدة واحدة أو كلمة واحدة!!!

ويوجد عنوان واحد لبعض القصائد لا أوافق الشاعر عليه هو: **(صرخة قاتلة)**[٢]، لما فى لفظ: **(قاتلة)** من جراح، ودماء، وانقباض علما بأن كلمة:

---

(١) هذا التمهيد نصه: "واقتداء برسولنا الكريم ــ ﷺ ــ فى الوفاء للزوجة فى حياتها وبعد مماتها رأيت أن أختم هذه الدموع (بهذه القصيدة) انظر: ديوان الشاعر/ ٦١ .

(٢) عنوان القصيدة السادسة بالديوان صـ١٥ ، وعدد أبياتها أربعة عشر بيتا.

(صرخة) مقبولة؛ لأنها صدرت من ابنته **(أريج)** نظرا للصدمة الشديدة التى أوجعتها عندما أيقنت بموت والدتها ... ولكن ما صدى ذلك الصراخ على الشاعر/ الأب/ والزوج؟ إنه يؤمن بالقضاء والقدر، وبأن الموت حق. وأرى أن يكون عنوان القصيدة هكذا: **(صرخة مؤلمة ــ أو موجعة)**.

ثانيا: مطالع القصائد:

للمطلع رونقه، وبهاؤه، وتأثيره، ويسميه بعض النقاد: حسن الابتداء، أو براعة الاستهلال، أو الافتتاح، وهو الذى يجذب المتلقى لمتابعة الإبداع الشعرى ويأخذ بالقلوب والألباب.

ومطالع القصائد عند شاعرنا تقطر ألمًا ولوعة وحسرة كقوله فى قصيدته: **(الرجل اليتيم)**:

يتيم بين آبائى .:. مساواة بأبنائى!

فأمهم التى ماتت .:. أناخت بين أحشائى!

تهدهـــدنى وتـــوقظنى ∴ فأصـحو ذاكـــرا دائـــى![1]

فالرجل البالغ إذا أطلق على نفسه صفة: **(اليــتم)**؛ ليتساوى بأبنائه، فإن هذا يدل على وقع المصيبة عليه، وهذا حق؛ لأن موت الزوجة ينعكس على الأسرة كلها، حيث ينفرط عقدها، ويتبخر الحنان منها، فالزوجة/ الأم فى البيت كالماء اللازم لبقاء الحياة ونمائها، وهذا مــا صرح به الشاعر وهو يدعو لها:

ســلام يـــا "عطيـــاتى" ∴ مــن الــزوج الــوجى النـــائى

ســلام بالنـــدى الزاكـــى ∴ علـــى قـــبر بـــه مـــائى !!![2]

ويقول فى مطلع قصيدته **(خيمة من يتم)** :

خـــيم اليـــتم علينـــا ∴ فـــى الـــصباح والمـــساء !

لا يـــرى الواحُـــد منـــا ∴ غـــير ســـحب مـــن بـــلاء!

ضـــاعت البـــسمات منـــا ∴ واختفـــى عنـــا الـــضياء

---

(١) ديوان الشاعر/ ٦ .
(٢) السابق/ ٨ .

واغـتر بنـا عـن ديـار ∴ ضـمنا فيهـا الـصفاء

قـد عرفنـا الحـب فيهـا ∴ مـا لـه أضـحى هبـاء!![1]

فالجملة الأولى من المطلع: (**خيم اليتم ...**) تصور تلك الحالة البائسة التى هيمنت على الأسرة بعد رحيل (**المرثية**)، ومتى هذا؟ فى كل وقـت: (**فـى الـصباح والمساء**) ثم انتقل الشاعر من (**خيمة اليـتم**) إلى خيمة أكبر هى: (**سحب من بلاء**)، فالسحاب الذى يعلوه فـى السماء لا ينزل ماء، إنما ينزل بلاء وآلاما!!!

ثم أتى بسبعة أفعال ماضية فى خمسة أبيات للدلالة على أنه لا ينسى ذلك الماضى الذى اشتمل على شـئ من البسمات، والضياء، والصفاء، ثم انتهى هـذا كلـه فصار هباء منثورا ... إنه البوح بما فى القلب للتخفيف عن النفس، وهو بوح صادق، ونابع من مشاعر جياشة وليس للتسلية وملء الفراغ الزمنى.

---

(١) السابق/ ٦٠.

ويقول فى مطلع قصيدته **(وقع الخبر)**:

كـــصاعقة مـــع النـــار ∴ تزلـــزل عـــبر إخبـــارى
بآهـــــات مفزعـــــــة ∴ قـــضت "مامـــا" فيـــا نـــارى
رمتنـــى حينهـــا الـــدنيا ∴ بأفكـــــارى وتـــــذكارى
بكـــت عينـــى بـــلا دمـــع ∴ وقلبـــــى دق إنـــــذارى
ألا يـــا حـــزن لا تحـــزن ∴ فـــأين عقيلـــة الـــدار؟[1]

فيجمع فى المطلـــع بـــين **(الـــصاعقة)** و**(النـــار)** وكلاهما مؤلم، ومفزع؛ ولذا أتى بعدهما بالآهات الدالة على الوله والفجيعة، مما جعله يبكى بلا دمـــع، وهـــو أقسى أنواع البكاء، ثم يجسد **(الحـــزن)** وينهـــاه عـــن التمادى فى تلك الحالة؛ لأن **(عقيلة الدار)** قد ذهبـــت، وذهابها هذا أكبر من الحزن والبكاء.

وكلمة: **(عقيلـــة)** توحى بأن الأسرة لا رشد لهـــا، ولا رغد إلا بذلك العقل المدبر الذى يوازن بـــين كـــل

---

(١) السابق ٩/ ١٠ .

الواجبات، وهذا كائن فى الفقيـدة/ المرثيـة، فالبيت مملكتها، وشاغلها الشاغل أبناؤها وزوجها الذين خيم عليهم اليتم بعد رحيلها.

والجدير بالذكر أن الشاعر ذكر كلمة: **(ماما)** فى البيت الثانى على سبيل الحكاية: [أى ما صدر من بعض أبنائه فى أثناء سماعه بالخبر] علمًا بأن الشاعر فى مقدوره أن يأتى بلفظ عربى فصيح دون أن يخل ذلك بالوزن أو المعنى فيقول:

(قضت أمّى فيا نارى)

لأن الشاعر مثل النحلة التى تقع على الزهور المختلفة فتجمع الرحيق ثم تخرجه عسلا شهيا.

ويقول فى مطلع قصيدته **(مات نصفى)**:

لهف نفسي مات نصفى .:. فبدا لى كل ضعفى

لم تكن زوجى وحسبى .:. إنما تسرى بطيفى

تـــــــسأل الآلام قلبــــــى .:. بـــح بـــسر دون خـــوف[(١)]

فالنفس تتلهف وتركن إلى السند والركن القوى فى الحياة، فكيف إذا مات ذلك السند الذى عبر عنه الشاعر بقوله: **(مات نصفى)**؟ فالحياة لا تكتمــل وتــستمر إلا بالنصفين معا، ولكنه ضعيف أمــام ســطوة المــوت وجبروته: **(فبدا لى كل ضعفى)** وهذا اختبار للــشاعر من خلال تلك المحنة، وقد أتى بالاستفهام الدال علــى التحسر: **(كيف أحيــا دون نــصفى)**؟ فــى منتــصف القصيدة وختامها؛ ليتناغم مع المطلع، بالإضــافة إلــى تشخيص الآلام التى أجرت حوارا مع القلــب المتــألم وتلمست منه البوح بما فيه، ففى ذلك تسرية عن النفس والقلب معا: **(بح بسر دون خوف!)**.

الجدير بالذكر أن بالديوان إحدى عــشرة قــصيدة ابتدأ الشاعر مطالعها بالجمل الفعليــة، وهــذا يــوحى بسرعة تأثره وتجاوبه مع الأحداث التــى مــرَّ بهــا،

---

(١) ديوان الشاعر/ ٥٦ .

وأذكرها حسب ترتيبها بالديوان؛ لتطابقها مع مشاعره وأحاسيسه.

الموضع الأول: فى مطلع قصيدته **(يوم العيد)** :

وجاء العيد محزونا يواسينا

يكفكف دمعه الباكى ويأسونا[(١)]

فجاءت الجملة الفعلية فى المطلع لتبين ترتيب الأحداث[(٢)] المؤلمة التى مر بها الشاعر من ناحية، وتبين أن العيد نفسه اكتسى بالحزن، وكان دمعه مدرارًا، وتعاطف مع أسرة المرثية فوقف إلى جانبهم يسليهم، ويواسيهم وهذا الموقف يلفتنا إلى أهمية العزاء والمواساة فهما مشاركة وجدانية لأصحاب المحن والمصائب.

---

(١) السابق/ ١٣ .
(٢) الحدث الأول الذى آلم الأسرة كلها: مجئ عيد الأضحى بعد رحيل المرثية بسبعة أيام ـ كما سبق ـ.

الموضع الثانى: فى مطلع قصيدته **(من غير وداع)**:

اخترت ساعة سفرتى لفراقنا ∴ هــلا صـبرت لوالــه لــيراك(١)

حيث كان زوجها **(الشاعر)** مسافرا ــ فى اليــوم الذى فارقت فيه الحياة ــ إلى مدينة **(القاهرة)** ليتــسلم قرار رئيس جامعة الأزهر بتعيينه عميدا للكلية، وقــد بُشر بذلك قبل الوفاة بيومين، فطمأن رفيقة دربه، فلــم تغادر الحياة إلا بعد تحقــق أمنيتهــا لــه، وأرادت ألاّ تحزنه بساعة الفراق، فتوارت وهو فى سفره هذا.

الموضع الثالث: فى مطلع قصيدته **(حديث الخاتم)**:

أشــارت قبــل موتتهــا ∴ إلى بنتـــــى "بـــــدبلتها"
وأعطتهـــا نـــصيحتها ∴ ولم تــشرح لطفلتهــا !!(٢)

وهو التعبير غير المباشر عن دنو الأجل، حيــث تتعاطف مع ابنتها **(الأنثى الوحيدة من بــين أبنائهــا)**

---

(١) ديوان الشاعر/ ١٨ .
(٢) الديوان/ ٣١ .

وتوصيها بعدم التفريط فى (**خـــاتم**) أمها، دون أن تذكر لها أسباب هذه الوصية، ولكن المقام ينطق بما يعجــز عنه اللسان•

الموضع الرابع: فى مطلع قصيدته (**إيثار**):

آثرتنـــــى بـــــالبنين ∴ وافتقـــــدتنا بالـــــسنين[1]

فقد افتقدت الزوج والأبناء بأغلى شئ فى الحيـــاة، وهو العمر، وفعلت ذلك ليحيوا هانئين، وتلاقـــى هـــى الأهوال والخطوب، وتبعات دائها الدفين !!

الموضع الخامس: فى مطلع قصيدته (**حطام**):

حطمـــت دعـــائم همتـــى ∴ وقـــضت علـــى أمنيتـــى[2]

الموضع الســادس: فى مطلـــع قــصيدته (**احتفالهـــا بالوكالة**):

---

(١) نفسه/ ٣٦ •
(٢) نفسه/ ٣٨ •

بـــسطت موائـــدها، وكانـــت فرحتـــى

يـــوم "الوكالـــة" جمعتهـــا أســـرتى[١]

الموضع السابع: فى مطلع قصيدته (الليلة الأخيرة):

رقـــدت كـــسوسنة النـــدى ∴ والوجـــه بـــدر قـــد بـــدا[٢]

الموضع الثامن: فى مطلع قصيدته (اكتئاب):

عرفت الحياة بدون أليف ∴ بقلب كئيب ووجـه مخيـف[٣]

الموضع التاسع: فى مطلع قصيدته (وجاءتنى العمادة قبل موتها بيومين):

جـــاءت لى العمـــادة ∴ لم تحمـــل الـــسعاده

ماتـــت حيـــاة قلبـــى ∴ مـــا قيمـــة الريـــاده ؟[٤]

(١) الديوان/ ٤١ .
(٢) نفسه/ ٤٤ .
(٣) نفسه/ ٤٧ .
(٤) نفسه/ ٥٠ .

الموضع العاشر: فى مطلع قصيدته **(طريق النور):**

قـد أنـارت لى طريقـى ∴ باسـم إخـلاص حقيقـى
كـل أسـرارى لـديها ∴ فهـى زوجـى وصـديقى[١]

الموضع الحادى عشر والأخير: فى مطلع قصيدته **(خيمة من يتم):**

خـيم اليـتم علينـا ∴ فـى الـصباح والمـساء!
لا يـرى الواحـد منـا ∴ غـير سـحب مـن بـلاء ![٢]

ولا شك فى أن هذه المطالع المبدوءة بالجمل الفعلية تدل على التصوير الحى لوقائع وتوابع تلك المصيبة من ناحية، وتفاعل الأسرة كلها مع الأحداث من ناحية أخرى.

وكان الشاعر موفقا فى مطلع القصيدة الأخيرة: **(خيم اليتم علينا)**؛ لأنه أوضح من خلال تضعيف

(١) نفسه/ ٥٢ .
(٢) الديوان/ ٦٠ .

الفعل: **(خيم)** أن الأحزان واليتم قد ضـــربا بأطنابهمـــا على الأسرة كلها، لدلالة **(نا)** الفاعلين فى: **(علينـــا ــ منا)** ، وبهذا تتحقق وحدة العاطفة وقوتها فى الـــديوان، بالإضافة إلى التناغم الملحوظ بـــين مطـــالع القـــصائد وعناوينها ٠

القسم الخامس

الحقول الدلالية المستخدمة فى التعبير عن الأحزان

وأعنى بها: المفردات اللصيقة بعنوان الديوان، والقصائد معا، وهى ما يعرف بالمعجم الشعرى الذى يعبر به المبدع عن المعانى الكائنة فى قلبه وفكره، ومن خلال هذه الحقول تتكون العبارات، والأساليب التى ينقل بها مضامينه إلى حيز الوجود، فينفس عن ذاته، ويشرك معه جمهور القراء فى تجربته ومعاناته.

وقد اطلعت على مفردات الديوان بالتفصيل لأقف على تلك الحقول التى حمَّلها الشاعر قدرًا كبيرًا من أحاسيسه ومشاعره، فوجدتها أربعين حقلا دلاليا، وهذا بيانها بالترتيب من الكثرة إلى القلة:

(١) الدعاء للمرثية فى ست عشرة قصيدة، وبأكثر من صيغة.

(٢) الموت. فى إحدى عشرة قصيدة.

(٣) الحزن والأحزان . فى عشر قصائد.

(٤) الفقد والفراق . فى ثمانى قصائد .

(٥) البلوى والابتلاء . فى سبع قصائد .

(٦) انهمار الدموع . فى سبع قصائد .

(٧) القلب وتأثره . فى ست قصائد .

(٨) القبر وأهواله . فى ست قصائد .

(٩) الآلام المبرحة . فى ست قصائد .

(١٠) البكاء . فى خمس قصائد .

(١١) روح الشاعر وروح المرثية فى خمس قصائد .

(١٢) اليتم . فى أربع قصائد .

(١٣) اللهفة والتوجع . فى أربع قصائد .

(١٤) الكآبة والاكتئاب. فى ثلاث قصائد .

(١٥) الصبر والتصبر. فى ثلاث قصائد .

(١٦) الحسرة والتحسر. فى ثلاث قصائد .

(١٧) الثكل. فى ثلاث قصائد .

(١٨) الشكوى. فى ثلاث قصائد .

(١٩) الداء . فى ثلاث قصائد .

(٢٠) التأوه. فى ثلاث قصائد .

(٢١) الحتف والهلاك. فى قصيدتين٠

(٢٢) مرارة المعاناة . فى قصيدتين٠

(٢٣) الوداع. فى قصيدتين٠

(٢٤) النزع الأخير . فى قصيدة واحدة٠

(٢٥) الفتك . فى قصيدة واحدة٠

(٢٦) الوحدة . فى قصيدة واحدة٠

(٢٧) الخطوب . فى قصيدة واحدة٠

(٢٨) المحن . فى قصيدة واحدة٠

(٢٩) الهم. فى قصيدة واحدة٠

(٣٠) الأقدار. فى قصيدة واحدة٠

(٣١) القسوة. فى قصيدة واحدة٠

(٣٢) مرارة المصيبة. فى قصيدة واحدة٠

(٣٣) الظلام . فى قصيدة واحدة٠

(٣٤) الأشلاء. فى قصيدة واحدة.

(٣٥) الصاعقة. فى قصيدة واحدة٠

(٣٦) الإعياء. فى قصيدة واحدة٠

(٣٧) الصراخ القاتل . فى قصيدة واحدة٠

(٣٨) الدماء. فى قصيدة واحدة.

(٣٩) الترحال. فى قصيدة واحدة.

(٤٠) الأمل السقيم. فى قصيدة واحدة.

إن المعانى عندما تملأ كيان الشاعر وقلبه تخرج فى ألفاظه وتراكيبه، وهذا ما نراه جليا فى الديوان، فالكلمات تتعاضد وتتسابق لمساعدة الشاعر فى البوح بأحزانه الدفينة، وقد سخَّر أكثرها فى **(الدعاء)** للفقيدة، وسأفرد لذلك قسما أتحدث فيه عن: **(مضامين ذلك الدعاء)** ولكنه يدل دلالة قاطعة على الوفاء لها، والصدق فى مشاعره تجاهها، والاعتراف بفضلها لأنها تركت فراغا كبيرا لا يملؤه غيرها.

القسم السادس

صفات المرثية من خلال الشعر

يمكن استنباط عدة صفات للراحلة من خلال تأمل قصائد هذا الديوان، وأبرز هذه الصفات: موازرة الزوج وإجلاله، والهمة والنشاط، والتضحية والإيثار، والرزانة والعفاف، والبشاشة والأنس، والصبر والتجلد فى أوقات المحن.

أولا: مؤازرة الزوج وإجلاله:

إن الزوجة التى تنشأ فى بيت على صلة بالعلم والدين والخلق الكريم، ترتوى من ذلك المنهل العذب ، وأحسب أن **(المرثية)** من هذا الصنف، فقد نشأت فى بيئة علمية، ولاقت التشجيع من أهلها وذويها، فتفوقت فى دراستها، وارتقت فى الدرجات العلمية حتى صارت أستاذا بالجامعة تخرج الأجيال، وكانت معوانا لزوجها / الشاعر الذى يعمل أستاذا بالجامعة أيضا ،

ومع تلك الأعباء كانت ناجحة فى المجالات كلها، وهذا ما يقر به الشاعر:

كنــــت لى روضـــا وظــــلا ∴ كنــــت لى الــــزوج الأمـــين
مـــا حملــت الهـــم يومـــا ∴ إن أشــــــرت بـــــاليمين
يــا وزيــرى فـــى خطــوبى ∴ واختبــــارات الــــسنين
زادك الله علـــــــــــــوا ∴ فـــى جـــوار العابــــدين[1]

ولم تقتصر المعونة على شئون الحيـــاة اليوميـــة والأسرية، ولكنها تمتد إلى الوقوف إلى جوار الـــزوج فى مراجعة وطباعة الأبحاث وإعدادها:

صـــادقتنى فـــى علــومى ∴ مـــــن وريقـــات لألــــف
رافقتنـــى فـــى خطـــاى ∴ ترســـم الميـــزان خلفـــى[2]

ويدفعها إلى ذلك كله حب الخيـــر لزوجهـــا، وأن تراه فى أرفع مكانة وأعلى منزلة:

---

(١) ديوان الشاعر / ٣٧ .
(٢) نفسه / ٥٦ .

ودفعتنـــى نحـــو المكـــارم والعـــلا
حتـــى "العمـــادة" قبـــل يـــوم فنـــاك
قـد كنـت ضـوء حياتنـا يـا مهجتـى
نلـــهو ونلعـــب فـــى فـــضاء شـــقاك[1]

وإجلال زوجها هو المحرك لكل ما تفعله وتتمناه، وهذا يوحى بحسن التبعل والعشرة، وأصالة التنـــشئة. يقول على لسانها:

زوجى إمـامى لا أروم سباقه ∴ إنـا اتفقنـا يـوم كانـت خطبتـى
سـبقت مودتـه ليـالى حبنـا ∴ فانساق قلبى يفتديه بـصحتى[2]

ثانيا ـ الهمة والنشاط:

إن الزوجة مصباح البيت وسراجه الوضاء، تعلـم ما يريده الزوج والأبناء ، وتقف علـــى كـــل صـــغيرة

---

(١) السابق / ١٩ ٠
(٢) نفسه/ ٤١ ٠

وكبيرة تتعلق بالأسرة كلها، وهذا يقتضى أن تكون الزوجة يقظة وذات همة قوية:

جابت الأسواق تسعى .:. وبها الداء الدفين
لم تكلفنا بشئ .:. كان منا أو يكون
إنما تهفو بروح .:. حامل كل اليقين
ومناها فى منانا .:. لا تبالى بالمنون [1]

وما تفعله المرثية/ الزوجة، لا يستطيع أحد القيام به، وهى تفعله بهمة وتحنان وطواعية:

كانت بمفردها تقود كتائبى .:. واليوم حيران ببضع طيور [2]

ثالثا: الصبر والتجلد:

عرفنا أن الراحلة ـ يرحمها الله ـ مكثت فى محنة مرضها لعدة أعوام، ومع هذا كله كانت صابرة ومتجلدة، وما ولَّت أو قصرت فى الواجبات الملقاة

(١) السابق/ ٣٦ .
(٢) السابق/ ٣٣ .

على عاتقها، ولم تشعر أسرتها بالحزن أو الهم، وهـــذه طبيعة الزوجات المخلصات اللائى فطرن على العطاء الدائم:

ولا تـــشكو مـــن الـــداء ∴ تـــدارى داءهـــا فيهـــا !!

وتعـــدل ضـــعف قوتنـــا ∴ ولا الإعيـــاء يثنيهـــا[1]

إنها صفات لا يعطاها إلا العظماء والعظيمات:

رغـم اعتلالـك مـا شـكوت ومـا خلـد

ت لراحـــــــــة لهنـــــــــاك !!

وظللـــت شـــعلة ناشـــط فـــى قومـــه

حتـــى خلـــدت لقاصـــم فتـــاكِ[2]

رابعا: القناعة والإيثار:

إن صفة القناعة نعمة كبرى فى الزوجـــة بـــصفة خاصة؛ لأنها تشعر زوجها بالرضا التام بالمقسوم مـــن

---

(١) السابق/ ١١ .

(٢) نفسه/ ١٩ .

المعيشة، ولا تحمله فوق طاقته، حيث لا تكثـر مـن التطلعات المرهقة، وذلك يرجع إلى رجاحـة عقلهـا، وقوة إيمانها، ويقينها التام فى قول الحق ـ جل جلالـه ـ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ... ﴾ (١).

والزوجة إذا قنعت من داخلها، فلن يتعلـق قلبهـا بأعراض الدنيا، بل ستؤثر الأقربين على نفسها، وهـذا ما شهد به الزوج/ الشاعر:

يـا نـصف عمـرى، بـل بعمـرى كلـه

أفـدى التـى دومـا تقـدم راحتـى

ضـربت لجـنس بناتهـا أعلـى فـدى

إذ مـا تـشيد صـرحها فـى حكمـة:

زوجـى بنـىَّ، ومـا يكـون بـه رضـا

هـم أولـون ومـا يزيـد فحـاجتى

---

(١) الآية ٣٢ الزخرف.

مـــا طـــالبتنى بالرفاهيـــة التـــى

تلـــهى النـــساء، تجـــر كـــل مـــصيبة[١]

إلى غير ذلك من الصفات النبيلة التى أدت إلـــى نجاحها على المستوى الشخصى والعائلى، وقد ظهرت ملامحها من خلال عبارات الشاعر، وعاطفته القويـــة التى يلحظها قارئ الديوان٠

---

(١) ديوان الشاعر/ ٤٢ ٠

القسم السابع
التصوير الشعرى للأحزان

الديوان كله يعد صورة كلية للأحزان التى عــاش الشاعر فى أوديتها، ابتداء من العنوان وانتهــاء بــآخر قصيدة منه، والصورة الشعرية هى التى تبعــث فــى الشعر الحياة، وقوة التأثير، وهى من "أهم خــصائص التعبير الشعرى، فهو تعبير بالصورة، والقصيدة الجيدة هى بدورها صورة"(١).

والصورة عند شاعرنا تقوم على الحقيقة والمجاز، وجاءت الاستعارة فى مقدمة الوسائل التصويرية عنده، ثم يليها التشبيه فالكناية التى استخدمها كثيرًا فى التعبير عن صفات المرثية.

فمن صوره الرائعة التى تقوم علــى التــشخيص والتجسيم قوله:

---

(١) الصورة والبناء الشعرى/ ٨ د. محمد حسن عبدالله ــ ط: دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨١م.

آهٍ مـــن الأمـــل الـــسقيم المرتجـــى

لمـــا يقاومـــه الزمـــان المعتـــدى

يــا أيهــا الأمــل النزيــل لــدى البلــى

قـــف هاهنـــا ومـــن الـــبلاء تـــزود[١]

وينظر إلى منزل الزوجية بعد رحيل الفقيدة فـــإذا هو بالآمال تتوارى:

تتسكع الآمال فـى طرقاتـه ∴ ثكلى من الزمن المريض الدامى[٢]

ثم يذكر السبب الحقيقى لوجود الأسى المخيم على الأسرة؛ فقد اندس شئ ما وقد آلمهم جميعا:

وانفـــض ســـامر أنـــسهم ∴ وانـــدس بيـــنهم الـــردى!![٣]

إن آلام البرايا تجمعت لديه لتنال منه وكأنها تتعمد ذلك، وإن الهم يعرف طريقه إلى قلبه وعروقه:

---

(١) ديوان الشاعر/ ٢٩ .
(٢) السابق/ ٢٩ .
(٣) نفسه/ ٤٤ .

زقــــت آلام البرايــــا .:. واختبــــا المـــــر بريقـــى!

وســـرى همـــى بقلبـــى .:. راح يجــرى فـــى عروقـــى![١]

فما أروع هذا الربط بين تذوق الآلام واختباء المر بريقه؛ وكأنه يتربص به، وبين ارتباط الهموم بالقلـــب وسريانها فى العروق وكأنها قطـــرات دم لا يـــستطيع العيش بدونها!!!

ومن الصور المعبرة قوله:

تـــسبح الأحـــزان فـــوقى .:. فـــإذا بـــى فـــى الـــسحيق![٢]

وقوله:

وجاء العيـد محزونـا يواسـينا[٣]

وقوله:

ألا يـــــا حـــــزن لا تحـــــزن[٤]

(١) نفسه/ ٥٤ .
(٢) نفسه/ ٥٣ .
(٣) السابق/ ١٣ .
(٤) نفسه/ ١٠ .

وقوله:

جـــاءت لى "العمـــادة" .·. لم تحمــــل الــــسعادة[١]

ويوظف "التشبيه" فى إيضاح مثيرات الحزن عنده، فإذا به يشبِّه بيت الزوجيـــة بـــالقبر يـــسكنه التجـــافى والوحشة:

وغرفتنا التى كانت منى أمـل .·. غدت قبرا يساكنها تجافينا[٢]

ويشبه أولاده الصغار بالزهور التى تحتـــاج إلـــى السقيا والرعاية، ولا يستطيع أحد أن يقدم هذا بصورة متكاملة إلا الأم/ المرثية:

صــغارى فــى فنــا دارى .·. أزاهـــــيرى وأوتـــــارى[٣]

ويشبه خبر فراق المرثيـــة بالـــصاعقة المحملـــة بالنيران، مما أدى إلى تزلزله من هول تلك الصاعقة:

---

(١) نفسه/ ٥٠ .
(٢) السابق/ ١٤ .
(٣) السابق/ ٢٥ .

كـصاعقة مـع النـار .·. تزلـزل عـبر إخبـارى[١]

وماذا عن حاله بعد فراقها؟ إنه مثل الطير الـذى انكسر جناحه فلم يعد قادرًا على التحليـق، ودموعـه صارت أبحرا دافقة:

فـاق عـن بلـوى دهتـ .·. ـه عـاد كـالطير الكـسير

لحظـة غامـت وتاهـت .·. فـى دمـوع كالغـدير[٢]

ولم تقتصر الصورة على الاستعارات والتشبيهات والكنايات، ولكنها امتـدت إلـى المحـسنات اللفظيـة والمعنوية، التى جاءت بـلا تكلـف، وتناغمـت مـع مضامين القصائد٠

ولكنى لا أوافق الـشاعر علـى تكـرار كلمـة **(الزهور)** فى بيتين متتاليين:

فـى قطـار الـذكريا .·. ت أنبتـت كـل الزهـور

---

(١) السابق/ ٩ ٠
(٢) السابق/ ٥ ٠

فـــى خيـــال حـــالم .:. وانتـــشى عـــود الزهـــور[1]

ولا أوافقه أيضا على الصورة فى قوله:

فأعود للمعراج كاسف طاويا .:. وأدور فى الحجـرات كـالمخمور[2]

وجاءت هذه الصورة فـــى ســياق تطوافــه فـــى حجرات بيته، وتذكره رفيقة دربــه أثنـــاء صـــعودها وهبوطها إلى الأدوار العليا والسفلى من المنزل، ولمـــا خلت تلك الحجرات من الفقيدة صار الزوج/ الــشاعر كالمخمور الذى لا يدرى ما يفعل، ولا يعى ما يقـــول، وأرى أن يشبه نفسه بالمقهور فيكون الشطر هكذا:

(وأدور فـــى الحجــرات كـالمقهور! !)

لأن الموت يقهر الكائنات، ولا اختيار لأحـــد فيـــه ويأتى بغتة، وهو من صفات الجلال أما: **(المخمـــور)**

---

(١) السابق/ ٤ .
(٢) السابق ٣٠ .

فهو الذى يذهب إلى الخمر باختياره ويضع نفسه فى تلك الحالة بإرادته[١]!!

إن الصورة الجزئية والكلية التى يعبر بها عن الأحزان تتآلف مع مضمون الديوان، وتعضدها الموسيقى الداخلية والخارجية المتمثلة فى الأوزان والقوافى.

فمن الموسيقى الداخلية عنده ظاهرة الترصيع التى وردت فى كثير من مطالع القصائد كقوله:

"عطياتى" مناجاتى ∴ أراها قبل إبصار
وتنطق عينها عينى ∴ بآهاتى وأسمارى
خلت دنياى من قلبى ∴ ومن مفتاح أسرارى[٢]

---

(١) وسواء أقال الشاعر: (كالمخمور) أم (كالمقهور) فإن المحصلة واحدة وهى: أنه كاد يفقد وعيه من هول المصيبة والمفاجأة.
(٢) ديوان الشاعر ٩/ ١٠.

إنها ليست ظاهرة موسيقية فحسب، إنها نغم وجدانى صادق، ظهرت ملامحه فى الحروف والكلمات، وما أروعه عندما يضيف اسم زوجته: **(عطيات)** إلى نفسه من خلال ياء المتكلم، إنه التداخل العاطفى والنفسى، إنه الانصهار والمحبة، والمودة والرحمة، وما أعذب تلك العبارات: **(مناجاتى)**، **(بآهاتى وأسمارى)**، **(ومن مفاتيح أسرارى)**!، إنها عبارات تدل على التفاهم والتداخل الشديد بين الزوجين، فالمناجاة غالبا تكون بين الأحبة ... وكذلك الآهات والأسمار ... والأسرار التى لم يطلع عليها أحد إلا الزوجة / المرثية.

ومن هذه الموسيقى الآسرة قوله:

أشارت قبل موتتها ∴ إلى بنتى "بدبلتها"
وأعطتها نصيحتها ∴ ولم تشرح لطفلتها[1]

---

(١) ديوان الشاعر/ ٣١ .

إن التناغم لم يقف عند الحركات والسكنات في **(موتتها)** و**(دبلتها)** وغيرهما من الكلمات بل يمتد إلى إضافة الكلمات الأربعة: **(الموت)** و**(الدبلة)** و**(النصيحة)** و**(الطفلة)** إلى ضمير **(الهاء)** الذى يعود على المرثية، فلا يعانى الموت في ذلك التوقيت إلا هى، وكذلك **(الدبلة أو الخاتم)** من **أخص** خصوصياتها ونصيحتها مقدمة منها لابنتها لإشفاقها عليها، فهى الطفلة الصغرى التى لم يتجاوز عمرها الستة عشر عاما!!!

لقد وازن الشاعر — في خطابه الموسيقى — بين الصغار والكبار، فيأتي بالأوزان القصيرة والمجزوءة عندما يتحدث إلى الأبناء أو على لسانهم، ويأتى بالأوزان التامة عند مخاطبة الكبار، حيث يجنح إلى العمق والاستقصاء غير المبهم. ومجمل الأوزان التي استخدمها الشاعر في ديوانه تدور بين: الرمل —

والهزج ــ والكامــل ــ والمتقــارب ــ والبــسيط ــ والوافر.

وقد آثرت أن ألمح إلى الجانــب الموســيقى فــى أعقاب الحديث عن: (**التصوير الشعرى للأحزان**) لقوة الصلة بينهما، وشدة تأثيرهما، وتعانقهما فــى إبــراز المعانى التى يدندن حولها الشاعر.

القسم الثامن

مضامين الدعاء للزوجة/ المرثية

عرفنا من قبل أن الدعاء للفقيدة من أكثر الحقـــول الدلالية على حزن الشاعر ووفائــــه لزوجـــه، فـــأكثر قصائده مزيلة بالدعاء للمرثية عـــن طريـــق **(الأمـــر والنهى)** اللذين خرجا عن حقيقتيهما إلى غرض بلاغى آخر هو: التمنى والرجاء، وهذا مرتبط تماما بالحالـــة الوجدانية للشاعر فأردت أن أجيب على هذا السؤال:

بماذا يدعو الشاعر لزوجه؟ وما الذى يرجوه لها؟ لقد دعا لها بأشياء كثيرة، وألح على الله ــ عزوجل ــ ليحققها لها فى الدار الآخرة. منها:

أولا: الدعاء بالسلام المحمل بالندى والعطاء:

ســـلام يـــا "عطيـــاتى" ∴ مـــن الـــزوج الـــوجى النـــائى
ســـلام بالنـــدى الزاكـــى ∴ علـــى قـــبر بـــه مـــائى[1]

---

(١) ديوان الشاعر/ ٨ ٠

وربط القبر بالماء فيه ما فيه من البلاغة والإيجاز، وإضافة ذلك **(الماء)** إلى ياء المتكلم تدل على حسن العشرة والمودة التى كانت بينهما واختيار كلمة: **(مائى)** يوحى بالحيوية والنضارة فبالماء تحيا النباتات والزروع والنفوس والكائنات: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1].

ثانيا: الدعاء بالفردوس الأعلى من الجنة على تحمل المرض:

لك الرحمن فى الأخرى ∴ على صبر وإصرار
لك العليا من الجنا ∴ ت فى فردوس أنهار[2]

ولا شك فى أن تقديم الجار والمجرور **(لك)** فى البيتين يدل على الحضور الدائم للزوجة فى وجدان وعقل الشاعر، ويعضد ذلك **(كاف الخطاب)** الذى

(١) الآية ٣٠ الأنبياء.
(٢) ديوان الشاعر/ ١٠ .

يوحى بتمثلها أمامه دائما، وقد ضمَّن دعاءه صفتين مهمتين من صفات المرثية هما: **(الصبر والتجلد)**٠

ثالثا: الدعاء بمجازاتها خيرا لصنائع معروفها:

إلهى: جازها فضلا ∴ بما صنعت بأهليها[١]

ففضل الله ــ عزوجل ــ لا حدود له، وخص **(الأهل)**؛ لأنهم الأولى بالمعروف والبر، فهى كلمة جامعة للأسرة والعائلة والمحيطين بها٠

رابعا: الدعاء بإضاءة قبرها:

يا رب نور قبرها بدعائنا ∴ وارحم "عطيات" مع النساك[٢]

وهذا من الأدعية المهمة المستمدة من السنة المطهرة، وقد اشتمل على ثلاثة أشياء: **الأول:** تنوير القبر. **والثانى:** طلب الرحمة لها. **والثالث:** ربط الدعاء بتنسكها وعبادتها؛ لأن الصبر الذى صاحبها خلال مرضها نصف الإيمان، والباء فى: **(بدعائنا)** للسببية،

---

(١) السابق/ ١٢ ٠
(٢) السابق/ ٢١ ٠

وجاء الشاعر بالضمير: **(نا)** للدلالة على كثرة الداعين لها، والمتأثرين بفراقها ٠

خامسا: الدعاء بتثبيتها فى القبر وأن يكون روضة من رياض الجنة:

يا رب ثبتها ونضر روضها ∴ وارزق فتاها الصبر فى الأيام[1]

وتثبيت المؤمن عند سؤاله فى قبره فضل محض من ربه ـ جل جلاله ـ فلا يملك أحد ـ فى الدنيا والآخرة ـ ذلك إلا رب الملك والملكوت: ﴿ **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ** ﴾[2] ٠

وهو من أهم الأدعية التى تقدم للمتوفى، وأن يكون القبر روضة من رياض الجنة، ولكنه جمع بين الدعاء له وللمرثية فدعا لها بما مضى، ودعا لنفسه بالصبر، وهو رزق يسوقه الله لمن يرضى بقضائه وقدره٠

---

(١) السابق/ ٢٤ ٠
(٢) الآية ٢٧ إبراهيم ٠

واستخدامه لحرف الجر: **(فى الأيام)** يدل على احتياجه الشديد للصبر فى جميع جزئيات الزمن بثوانيه ودقائقه وساعاته، وأيامه ولياليه!!

سادسا: الدعاء لها بالنعيم والكوثر فى الجنان:

يا رب جاورها الجنان وكوثرا ∴ واغدق عليها من نعيم أغدق[(١)]

فالذى يملك الجنان، والكوثر، والنعيم الأرغد هو الملك ــ جل جلاله ــ والجنة هى غاية ما يسعى إليه المؤمن / والمؤمنة، و**(الكوثر)** من تلك البشريات التى أكدتها السنة الصحيحة، فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، وهذا ما يرجوه الشاعر للمرثية.

سابعا: الدعاء لنفسه بالرحمة ولها بالجنة مع الحور العين:

فارحم إلهى لوعتى وصبابتى ∴ واكتب لها الجنات وسط الحور[(٢)]

وهنا يظهر أثر العاطفة فى كلمتى: **(لوعتى وصبابتى)**، وهذا يوحى بشدة تأثره، ولكن ذلك لم ينسه أو يخرجه من الدعاء لها بأسمى الغايات وأخلدها.

---

(١) ديوان الشاعر/ ٣٠.
(٢) نفسه/ ٣٥.

ثامنا: الدعاء لها بمغفرة ذنوبها:

يـــا رب فـــاغفر ذنبهـــا ∴ مكـــن لهـــا فـــى الجنـــة[١]

وأتى بالذنب هنا على صـــيغة المفـــرد: **(ذنبهـــا)** للإيحاء باجتهادها فى العبادة، وتورعها، وعدم جرأتها على اقتراف الذنوب والموبقات، وهـــذا يتوافـــق مـــع طبيعة عملها[٢] فى الحياة بوصفها منتمية علـــى أهـــل العلم الـــذين قـــال الله فـــيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٣].

تاسعا: الدعاء لها بالسعادة:

إلهنـــــا وربـــــى ∴ اكتـــب لهـــا الـــسعاده
لـــــصبرها لبلـــوى ∴ أحـــسن لهـــا الوفـــاده[٤]

---

(١) السابق/ ٤٠ .
(٢) حيث كانت "أستاذا" بقسم علم النفس بكليـــة الآداب، كمـــا سبق.
(٣) الآية ٢٨ فاطر.
(٤) ديوان الشاعر/ ٥١ .

والملاحظ هنا أنه ينادى مجيب الدعاء بالألوهيـــة والربوبية معا، وكأنه يقول: أدعوك بكل السبل المؤدية إليك أن تكتبها فى السعداء بسبب صبرها على بلواهـــا وأنت وعدت أن تعطى الصابرين أجرهم بغير حساب، وأن تجزى بالإحسان إحسانا.

وخص (**السعادة**) بالذكر؛ لأنها أحد شقى المصير المحتوم للإنسان فى الدار الآخرة: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[1] ثم بشر الـــسعداء فقال عزوجل: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2].

عاشرا: الدعاء بأن تنال أجر الصادقين:

يــا إلهـــى يـــا رحيمـــا ∴ جازهـــا أجـــر الـــصدوق
واســـقها الكـــافور كأســـا ∴ ثـــم مختـــوم الرحيـــق[3]

---

(١) الآية ١٠٥ هود.
(٢) الآية ١٠٨ هود.
(٣) ديوان الشاعر/ ٥٥ .

وهنا يبين صفة مهمة من صفات المرثية، وهى : **(الصدق)** فى الحياة، والــصدق فـــى الــصبر علـــى الابتلاءات، والصدق فى الإيمان واليقـــين والجـــزاء، والتصديق بالقضاء والقدر خيره وشره، وبأن المـــوت حق، والجنة حق، وأن الله يبعث من فى القبور، والفائز الحق هو من رزق حسن الخاتمة.

وختاما:

أقول: إن الإكثار من الدعاء للراحلة لـه دلائل كثيرة منها:

أولا: اعتصام الشاعر بالحي القيوم الذي لا يملك إجابة الدعاء إلا هو، وهذا تنفيذ عملي لما جاء عن الرسول الكريم ــ ﷺ ــ في قولـه: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..."[١].

ثانيا: التسليم المطلق لله ــ تعالى ــ فيما يجريه على خلقه من أفراح وأتراح، وآلام وأحزان.

ثالثا: إيضاح بعض الصفات النبيلة التي كانت تتمتع بها المرثية في حياتها، وأهمها التفاني في إسعاد أسرتها، وإنكار الذات والآلام التي كانت تكابدها ولكنها لا تريد أن تحمل ذويها شيئا من معاناتها.

---

(١) رواه الترمذي.

رابعا: فى تلك الأدعية ملامح كثيرة تدل على مدى التفاهم والترابط الشديد بين الشاعر وزوجه، فقد دعا لها فى حياتها وبعد رحيلها، كما دعا لنفسه، ولكنها حظيت بالجزء الأكبر من ذلك الدعاء،وهذا دليل على أنهما لبسا ثوب المودة والرحمة فى حياتها.ولما رحلت جازاها إحسانا بذلك الدعاء، وهو أفضل ما يُقدم للراحلين عن الحياة الدنيا:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

خامسا: إن عاطفة **(الحزن)** هى التى فجرت طاقات الشاعر، وقد ظهرت صبغتها على الألفاظ والجمل والتراكيب كما ظهرت فى عنوان الديوان، وعناوين القصائد، وهى المحرك الأساسى للشاعر فى إنتاج هذا القدر الكبير من القصائد فى عشرين ليلة!!

(١) الآية ١٠ الحشر .

سادسا: وكما كان الشاعر وفيا لزوجته كان وفيا للغتـــه التى نسج من خلالها ثوبا من الأحـــزان، وتكـــوَّن هذا النسيج من مفردات لغوية أصـــيلة، وصـــور شعرية خلابة، وأوزان خليلية غناءة قد صب فيها المضامين المعاصرة التى اســـتولت علـــى لبـــه، واستحوذت على فكره، مما يدل دلالة قاطعة على صلاحية الشعر الموزون المقفـــى لكـــل عـــصر، ولكنه فى حاجة إلى موهبة حقيقية. حفظ الله كتابه العزيز، ولغته الواعدة، وقيمه الخالدة، ورحـــم الله الفقيدة، وكل من سبقنا إلى الدار الآخرة، وأجـــزل ثوابهم وأسكنهم فسيح الجنان اللهم آمين ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

وصلَّى اللهم وسلَّم وبارك على معلم الناس الخير سيدنا محمد

---

(١) الآية ٣٢ البقرة.

عشرون ليلة فى الأحزان

عبرات

الدكتور/ محمد محمد الغرباوى

الطبعة الأولى

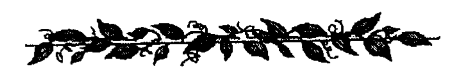
أكتوبر ٢٠١٥م

تناثرت هذه العبرات فـى عـشرين ليلـة!
مــن الليـــالى الحزينـــة، فبـــدأت ليلـــة
٢٠١٥/٩/١٧م، واســـتمرت حتـــى تـــاريخ
الاحتفال بـالزواج الـسابع والعـشرين الـذى لم
يكتمل فى ٦/ ١٠/ ٢٠١٥م.

نهاية !!

مـا كنـت أظـن أن كـل شـئ سـيرحل
برحيلها ، ما تخيلته ، وما لم أتخيله !
لكنه كان ،
واله

"شريط الذكريات"



لحظةٌ غامتْ وغابتْ في متاهاتِ القبورْ!
يوم لُقيانا، التقينا دون ميعادٍ يدور
فى قطارِ الذكريات أَنبتتْ كلّ الزّهور
فى خيالٍ حالمٍ، وانتشى عودُ الزهور
سوف نجنى ما تمنى كل حِبٍّ فى حبور!!
نَبتنى الأحلام غرقى فى عصارات العبير
نرسم الأيام لألاءً ، وما فيها نذير
ما ذكرنا الحزن فيها، لم يُعكّرها المصير

* * *

عادت الذكرى لدمعى يوم هذاك المسيرْ

وانطوى عمرى بعمرى جَفّف الماء النمير
فــى سُــكونٍ عَــمَّ دُنيــاىَ بوقــتٍ لا يــسير
ذاهل القلب شرود ، ما دَهَى الحلم الكبير؟
فاق عن بلوى دَهتْه، عاد كالطّير الكسير!
لحظةٌ غامتْ وتاهتْ فى دُموعٍ كالغديرْ!!



"الرجل اليتيم"

يَتــــيمٌ بــــين آبـــائى

مُـــــــساواةً بأبنـــــــائي

فـــأُمُهمُ التـــى ماتـــتْ

أناخـــتْ بـــين أحـــشائى

تُهدهـــدنى وتُـــوقظنى

فأصـــحو ذاكـــرًا دائـــى!!

* * *

ألا يـــا دُرّةَ القلـــب

ويـــا إصـــباحَ إمـــسائى

دَعينــــى فـــى مَنامـــاتى
لكيمـــا لا أرى النّـــــائى
عَهـــدتُكِ نَحلـــةً ترنـــو
تـــدور بـــشهْد إرجـــائى
فمـــا للزّهـــر لا يهفـــو
بغـــير حُـــروف لأْوائـــى؟
ومـــا للنّحـــل لا يرنـــو
يَعـــاف ميـــاهَ أنـــدائى؟

* * *

أنـــا فـــى اليُـــتْم مُنفـــردٌ
كـــسامعةٍ بـــلا رَائـــى

حطَمتُ قواعد العُرف

وصُغْتُ شُذوذ إملائى

فلا طِفْلٌ يُطاولنى

ولا شيخٌ كأشلائى

سلامٌ يا "عَطيّاتى"

من الزّوج الوجى النّائى

سلامٌ بالنّدى الزاكى

على قبرٍ به مائى!!



"وقعُ الخبر"

كَـصَاعقةٍ مـع النَّـارِ ∴ تُزلـزل عَبْـر إخبـارى
بآهـــاتٍ مُفزّعـــة: ∴ قضتْ "مَامَا" فيا نارى!
رَمتْنـى حينها الـدُّنيا ∴ بأفكــارى وتَــذْكارى
فمِــنْ حُلْــوٍ إلى مُــرٍّ ∴ إلى آيــاتِ مــشوارى
بَنينـا حلـمَ سـاحتنا ∴ بيُــسْرٍ أو بإعـــسار
ومــا كلَّــتْ أمانينــا ∴ وشــكوانا إلى البــارى
تُزاحمنــــا ليالينـــا ∴ وتَـــدفعنا لإبحــــار
نُـسافر عَبْـر مـا نبغـى ∴ فَنجمــعُ ألــف دينــار
ومــا دارتْ بأعيننـــا ∴ رُســوم كآبــةِ الــدّار!!

* * *

"عَطيّـاتى" مُناجـاتى ∴ أَراهـــا قبــل إبــصار

وتَنطـق عينُهـا عينــى ∴ بآهـــاتى وأسمـــارى
خَلتْ دُنياى مِن قلبى ∴ ومِـن مفتـاح أسـرارى
بكتْ عينـى بلا دمعٍ ∴ وقلبـــى دَقّ إنـــذارى
ألا يـا حـزنُ لا تحـزنْ ∴ فـأين عقيلـةُ الـدار؟
لَكِ الرحمنُ فى الأُخرى ∴ علـــى صـــبرٍ وإصـــرار
لَـكِ العُليـا مـن الجنّـات فـى فِـرْدوسِ أَنْهـارِ



"أمانيها"

أَمَانيهـــــا أَمَانيهـــــا ⁖ أُحــاول أَنْ أُرَجّيهـــا
رعايـــةُ بَيْتهــا العــالى ⁖ وحِفْظُ عهـودِ راعيها
تَـروحُ تـروح فـى زهـوٍ ⁖ لــشىءٍ إذْ نُناديهـــا
وتَفخــر أنهــا خُلقــتْ ⁖ لِتَفْــدينا وتُعليهــــا
أُحاورُهـا علـى وجـلٍ ⁖ لأُحـبطَ عَـزْم عاليهـا
فَتَــسْعى فــى مآربِنــا ⁖ وتَعلــو فــى مَراقيهـا
وتَرضـى آخـرَ المسعى ⁖ إذَا الآمــالُ نَجْنيهـــا
وتُؤثرنـــا بعافيـــةٍ ⁖ تُجرجـرُ حَبْـل باقيهـا
ولا تَـشكو مِـنَ الـداءِ ⁖ تُدارى داءَها فيها !!
وتَعْـدِلُ ضِـعْفَ قُوّتنـا ⁖ ولا الإعيــاءُ يُثْنيهـــا
أَنانيـــةٌ بنـــا كُـــبرى ⁖ ومــا عَتَبــتْ مآقيهـــا

فَقَدْتُ بفقدكِ الدنيا ∴ بِزَهْرتها وغاليها

"عَطيّاتى" أنا الباكى ∴ بقلبى، لا أُوفّيها

نَسَائمُ رُوحك الخجلى ∴ تَصُبّ بِنَهْر ساقيها

إلاهى، جَازِها فَضْلا ∴ بما صَنَعْت بأهليها



"يَومُ العيد"

وجــاء العيــدُ محزونًــا يُواســينا

يُكفكفُ دمعَه الباكي ولاَ ينفكُّ يَأْسُونا

فــأين بــشاشةُ الرّضــوان تَغمرنــا

وأين سكينةُ الأمّ التى كانت تُغَشِّينا؟

وأيــن الْخَطْــوُ كــالغزلانِ يَغْمِزُنــا

بِرِفْقِ الحُبّ والتَّحنان من غَفْوٍ تُصحّينا؟

وأين الأُنْسُ؟ أيـن الْعَهْدُ يَجمعنا

تَبَخَّر ساعةَ الأحزانِ، قد ماتتْ أمانينا

أَدورُ بــدارِ عِزِّتنــا فــلا نَفَــسٌ
ولاَ روْحٌ مــن الرَّيْحــان يَــسْقينا!!
وَغُرْفَتُنــا التــى كانــتْ مُنَــى أمـلٍ
غَــدَتْ قــبرًا يُــساكُنها تَجافينــا
لَبِسْتُ الثـوب فـى عَجَـلٍ لأعرضـه
علــى مــرآة أحلامــى تُناديـنــا
فإذْ بالثوب يَجْذبنى على وجلٍ
فمرآتــى التــى كُسِرَتْ غَـدَتْ طينـا!!



"صَرْخة قاتلة"

على صوت طفلتى الوحيدة ينادى:
"مِشْخدَتْنى مَعَاها، سابَتْنى ليه؟ وانْت هاتْسيِبنى!!
كِلْمـــةٌ هَـــدَّتْ بنـــائى

ابْـــنَتي رَدَّتْ عَزَائـــي!

عاشـــتِ الوَحـــدةَ ظنـــاً

أَنّنـــى شـــرُّ الوفـــاءِ

فـــاعْتلانى مـــا اعْتلانـــى

وانْخرطـــتُ فـــى البكـــاء:

يـــا ابنتـــى، يـــا نـــور عينـــى

لــــيس لى رَدَّ القـــضاء

مَـــنْ رَبَـــاكِ فـــى اغـــترابٍ
واقْـــترابٍ يـــا رجـــائى؟
فانثنـــتْ نحـــوى بكـــفٍّ
رَاعِـــشٍ مِـــنْ غـــير داء!!
راح دَمعـــى فـــى يـــديها
سَـــاربًا يحكـــى دمـــائى
فـــاحتوتْنى واحتواهـــا
قلـــبُ حِـــبٍّ لا يُرائـــى
هَـــدْأةُ الـــرُّوح اعْتَلَتْهـــا
ثَبَّتـــتْ عنـــدى وَلائـــى
أنـــتِ أُمٌّ لأبيهـــا
يـــا "أريـــجٌ" يـــا سَـــمَائى

نبْتَـــــةٌ مِـــــن دوْح أُمٍّ

جَثَّـــــنى عنهـــا شَـــقائى

رحمـــةٌ يـــا ربِّ نحـــوى

وصِـــغَارى، يـــا رَجَـــائى!

واجْـــزِ عنـــا مَـــن أناخـــتْ

عنـــــد بـــــاب الاحْتمـــــاء

أنـــت حـــقٌّ، أنـــت عَـــدْلٌ

كُـــن لطيفًـــا فـــى ابْتلائـــى



"من غير وداع"

اخْتَـرْتِ سـاعةَ سَـفْرتى لِفِراقنـا

هَـلاَّ صَـبرتِ لوالِـهٍ، لِيَـراكِ؟!

يا مُنية القلب الحزينِ خَذَلْتِنى

للمـرّةِ الأولى بـدون حَـراك

يا مَنْبَعَ التَّحنان فى روضِ الهنا

سبحان ربى بالرّضا حلاّك!!

آثرْتِنـى فـى كـل شَـئٍ بيننـا

واخترتِ خِدْمَة أُسرتى برضاك

وَدَفَعْتِنِـي نحـو المكـارم والعُـلا
حتى "العمادة" قبل يوم فَناك
قد كنتِ ضوء حياتنا يا مُهجتي
نلهو ونلعب في فضاء شقاك
رغم اعتلالِكِ ما شكوتِ،وما خلدتِ لراحةٍ لهَناك!!
وظللتِ شعلة ناشطٍ في قومه
حتـى خلـدتِ لقاصـمٍ فتّـاك
عَشْرٌ من السّاعات نام نشاطُها
ثم استكنتِ لمبدع الأفلاك
قد نلتِ ما أمّلتِ من خطْفِ القضا
يَـوْمٌ "نِـزاعٌ" قُلتِها بدُعاك

فكأن كاتب ربنا كتب المنى
فى لحظةٍ كيلا يطول بلاك
وتركتِ أُسرتكِ التى أسّسْتِها
بالصبر والإجهاد، بل بِدِمَاكِ
أَيَّامَ كنا نَبْتنى بيتًا لنا
فى العُسْر، بِعْتِ جهودك لِفَتَاك
يومًا تعانين المرارة والأسى
وتناقلتْ ترب البناء يداك!!
فى كل شبرٍ دُسْتهِ لكِ خاطر
لَهِفٌ إليكِ، فكيف لا يَلقاك؟

أولادُنـــا لا يفهمـــون صـــبابتى

إلا دموعًـــا مـــن فـــؤادٍ بـــالكِ!

أمّا الذى تحويه رُوحى من عَنًا

فالـسّرُّ يبقـى عنـد مَـن سَـوَّاك

يـــا ربّ نـــوّرْ قبرهـــا بـــدعائنا

وارحـم "عطيّاتٍ" مع النّسّاك



"إظلام"

الصَّمتُ خيّم فى الظلام الرامى
والبيتُ صُمّ ولا يُجيب كلامى!
طُولُ البناء وعَرضه فى ناظرى
كالنُّقطة السّوداء فى الأحلام
غُرُفاتُه مشدوهة مما جرى
وأثاثُه الوَسْنَانُ فى إحجام
تَتَسكَّع الآمال فى طرقاته
ثكلى من الزمن المريض الدامى

وتَحـــوم ذكرانـــا تُهـــوّم نحـــوه
كفراشـةِ النُّـور الخَفِيـتِ الظـامى
فَتَرُدُهـــا الآلام يـــدفعها البِلـــى
فَتَـدور تـسأل عـن قـرار حِمـامى!!
يا حَسرتى فى وَحْدتى دون اللّقا
مَـنْ لى بـردّ حُـشاشتى وقِـوامى؟

* * *

أَتَلمَّــسُ الأشــياء فـــى لَمَـسَاتها
فَــأُحِسُّ بَــرْدَ ســلامها بـسلامى
أَتَـصيَّد الكلمات داخـل خاطرى
مــن يــوم أنْ كُنّـا بغــير فطـام

أَتَنَسَّم النفثات فى ثوب الدجى
عَلِّي أفوز بريحك البَسَّام
يا غايةَ الأمل الفقيد ومُنيتى
جُودى علىّ بزوْرةٍ بمنامى
أشكو إليكِ صبابتى ومرارتى
وقساوةَ الآهات بَعْد سَقامى
كُنَّا نُقاسم عِلَّةً فى علّةٍ
فغدوتُ أشقى بِابْتياع سهامى
يا ربّ ثبّتْها ونَضّر روضها
وارزقْ فتاها الصبر فى الأيام !



"وتداخلت الأحزان"

صِغَارى فى فِنَا دارى
أَزاهيرى وأوتارى
فمنهم لحنُ أغنيتى
وفيهم نَبْضُ أشعارى
إذا ما أُمُّنا غابتْ
نَطوفُ لِقَرْع أسوار
ولكنْ طالت الرؤيا
وغابتْ دون أخبار
يُسائل بعضُهم بعضا
ولا يَدرون أسرارى

أنـــا أَدري بغيْبتهـــا
ولكـــنْ دونهـــا نـــارى
تـــوارتْ بَعْـــد طَلْعتهـــا
ومالـــت نحـــو أقـــدار
عَنَـــتْ للحـــىّ وجهتهـــا
تعـــالى ربنـــا البـــارى
صِـــغارى أيقنـــوا حقـــا
بحكْـــمٍ قـــادرٍ جـــارى
أُكـــتّم عـــنهمُ الحـــسرى
وأُسْـــديها لأفكـــارى
فَتَفْـــضَحنى مـــدامعها
إذا ســـالتْ بأحبـــارى

فَتَجْمعنـــــى أَكفُّهــــمُ

وتربـــتُ فــوق إعـــصارى

فَمَـــنْ أَوْلَـــى بنـــا منّـــا

صـــغارى أم أبـــو الـــدارِ؟!!



"روحان"

رُوحَـانِ فـى جَـسَدٍ وفكـرٍ واحـدِ
نَبتَـا مـن التَّحْنـان والحُـبِّ النَّـدِى
لَمـاّ التقينا دون وَعْـدٍ فـى الهـوى
ذاب الوصـالُ، وكـان يـومُ المولـدِ
ترمـى شـفاهى بالـذى فـى قلبهـا
فــتردُّ أَعينُهــا بــذاك المَــشْهد
فى رُبْعِ قرنٍ من عـذابات الهـوى
بـينَ الـصُّدود وبـين حُلْـوِ المـورد
كَبُــرَتْ أمانينــا وســافر حلمُنــا
عَبْــرَ الليــالي والعُيــونِ الرصّــد

كـم ذا بَنَيْنـا مـن قـصورِ خيالنـا
لم ندْرِ ما يَجرى وما يَكُ فى غَدِ!
فى الحلِّ والتّرحال يرصُد دهُرنا
أعمارَنـا الـصُّغرى ونحـن بـلا يَـدِ

* * *

آهٍ مـن الأمـل الّسقيم المرتجـى
لمّــا يُقاومــه الزمــانُ المعتــدى
آهٍ مــن العمــر القــصير المبتلـى
لمــا تُطــارده المنــونُ بِفَدْفَــدِ
يا أيّها الأمـل النّزيـل لـدى البِلـى
قـفْ هاهنــا، ومــن الـبلاء تَـزَوَّدِ

رُوحي غدتْ ثكلى لفقْد نصيفها

والفكـرُ أضـحى كالـسَّليم الْأَرْمـد!!

يـا ربِّ جاورْهـا الجِنَـانَ وكَـوْثَرًا

واغـدقْ عليهـا مِـنْ نعـيمٍ أَرْغَـدِ



"حديث الخاتم"

أَشــــارتْ قبـــل موتتهـــا

إلى بنتـــــى "بِـــدِبْلتها"

وأعطتْهــــا نـــصيحتها

ولم تـــشرحْ لطفلتهـــــا

وبعـــد فراقهـــا الغـــالى

أتـــتْ بنتـــى بـــدمعتها

فـذاك الخـاتمُ المهجـورُ فـى آثّـار غرفتهـا

عليـه الـنَّقْشُ بالتّـاريخ بعـد حَبِيـبِ عِشرتها

بـه الإخـلاصُ والحُـسنى

بـــه آمـــالُ خِطبتهـــا

بــه الأيّــامُ والآلامُ قـــد مــرّتْ بغَفْوتهـــا

بـه التّرحــال فــي الــذكرى

بـــــه إخـــــلادُ عِزَّتهـــــا

بـــــه سَـــبْعٌ وعـــــشرونَ

بنـــا مَـــرَّتْ ، بـــصُحْبتها

أَبِــي، خُــذْ خــاتم الـذكرى

كمـــا أوصـــتْ بـــدمعتها

فقلــتُ: دعيــه فــي قلبــي

لأَحْفَـــظَ عَهْـــدَ نيَّتهِـــا!!



"حُروف لا تغيب"

ما زِلْتُ أهتفُ بِاسْمِها عِنْد النِّدا

فحرُوفُهـا تـأتى بـلا تفكـيرِ!!

للطّـابقِ العُلـوىّ تَـسبقنى الخطـا

لأشـمّ هَمْـسَ عبيرهـا بـضميرى

فـأعودُ للمعـراج كاسِـفَ طاويًـا

وأدور فـى الحُجُـرات كـالمخمور

وأدوسُ بيت الطَّبْخ لا أجد الـضِّيَا

لا اللَحـنُ لحنـى، لا بَصِيصَ لنـُورى

كانـتْ بمفردهـا تَقُـود كتـائبى

واليـوم حـيرانٌ بِبِـضْع طيـورِ!!

همـدتْ نَـسائِمهُا وجَـفَّ عبيُرهـا
مـــا قيمـــةُ الّـــدنيا بغـــير عـــبير؟!

* * *

ما ذلكَ الحُبُّ الذى فى خاطرى
ما جال قَبْلَ الموت فـى تقـديرى؟!
ذَهَبـتْ مَبَـاهِجُ عيـشتى بفراقهـا
واغْبَـرَّ صـافى الكـونِ فـى تغـييرى
أَخْشَى علـى نفسى ضَيَاعَ كِيَانهـا
أَخْشى علـى سَـمْتى مـن التَّزْويـر!
يــا نَفْــسُ مَنِّينــى اللِّقــاءَ بِلَيْلــها
كيمـــا أُخَفّـــفَ لوعـــة التَّقْـــتير

فالصَّبْرُ راح مع الأحبّة فى غدي

وبقيــتُ رَهْــن زيــارةِ المقبــور

فــارْحم إلاهــى لـوعتى وصـبابتى

واكتــبْ لهـا الجَنَّـاتِ وَسْـطَ الحُـورِ



"إيثار"

آثرتْنــــى والبــــنينْ .:. وافْتــدتْنا بالــسِّنينْ

كانَـــتِ الـــدُّنيا لنـــا .:. فى السُّرورِ والأَنين

تحصدُ الأيامَ حصدا .:. كـي نفوزَ بالـسكون

جابتِ الأسواقَ تسعى .:. وبها الـداءُ الـدفين

لم تُكلّفْنـــا بـــشيءٍ .:. كـان مِنَّـا أو يكـون

إنمّــا تهفــو بــروحٍ .:. حامـلٍ كـلَّ الـيقين

ومُناهــا فـــى مُنانـــا .:. لا تُبـالى بـالمنون!

* * *

يـا "عَطِيّـاتى" سـلامٌ .:. مـن مُحِـبّ لا يخـون

كنتِ نـسْماتِ حياتى .:. كنـتِ حبّاتِ العيـون

كنتِ لى رَوْضًا وظِلاًّ ⁖ كنتِ لىِ الزَّوْجَ الأمين
مَا حَمَلْتُ الهَمَّ يوما ⁖ إن أَشَرتِ باليمين
يا وَزيرى فى خُطوبى ⁖ واختباراتِ السنين
زَادكِ اللهُ علوًّا ⁖ فى جِوَارِ العابدينْ



"حُطَام"

حَطَمــــتْ دعـــائم هِمّتـــي

وقـــضتْ عَلَـــى أُمْنِيَّتـــي

سَـــقطتْ بنـــصفِ طريقنـــا

وَأَبَـــتْ تُكمّـــل رحلتـــي!

قـــادتْ ســـفينةَ عمرنـــا

وأنـــا المراقـــبُ للّتـــي

نَلـــهو ونَلعـــب حولهـــا

وســـفينتي كـــسفينتي

إنْ ماجـــتِ الـــريحُ بنـــا

هـــدأتْ لِتنجـــوَ أُســـرتي

لــــو كَــــشَّر الـــدهرُ لنـــا
بــــسَمتْ بثغـــر الحكمـــةِ
هــــى أُمُّ بَيْتـــى كلّـــه
وأنـــا الـــصغيرُ بحــــسرتى
طِفْلـــى جــرى فــى داخلــى
مـــن يـــوم جـــاءتْ زوجتـــى
نَاغَتْـــه فـــى أَدَبٍ لهـــا
وَرَعَتْــه طــول مـــسيرتى
قـــرأتْ بــــه آمالـــه
وجُنوحـــه فـــى اللـــذة
سَـــهِرتْ لـــداءِ عِراكـــهِ
رعـــتِ الجُنـــون بِرَوْعـــة

يــا طفلــها أنــت الــذى

تَوَّجْـــت كـــلَّ مـــروءة

روّضْــتنى فـــى هَجْمتـــى

واسَــيْتنى فـــى محنتـــى!!

مَـــنْ ذا يقـــوم بحيلتـــى

مـــن ذا يُـــدارى ســـوءتى؟

غابـــتْ، فَغَابـــتْ فرحتـــى

لمـــا قـــبرتُ حليلتـــــى

يـــا ربّ فـــاغفرْ ذنبهـــا

مَكّـــن لهـــا فـــى الجنّـــة



"احتفالها بالوكالة"



بَسَطتْ مَوائِدَها وكانتْ فرحتى
يَـوْمَ "الَوكالـة" جَمّعتْها أسـرتى
نادتْ على الضيف الكرام تحيّة
اليـوم عيـدى فاهنـأوا بمـودّتى
زوجــى إمــامى لا أَرومُ سِـبَاقه
إنـا اتّفقنـا يـوم كانـت خِطبتــى!!
سَــبقتْ مودتُــه ليــالىَ حُبّنــا
فانــساق قلبــى يَفتديــه بــصحّتى

صدقتْ،وعاشتْ في وداد مُخلصٍ
حتى قضتْ عَهْدَ الوداد بلحظة

* * *

يا نصفَ عمري، بل بعمري كله
أَفدي التي دوما تُقدّمُ رَاحتي
ضَربْت لجنس بناتها أعلى فِدًى
إذْ ما تُشيّدُ صرحها في حكمةٍ:
زوجي، بَنيّ، وما يكون به رضًا
هم أولون وما يَزيد فحاجتي
مَا طالبتْني بالرّفاهية التي
تُلهي النساءَ، تجرّ كلّ مصيبَةِ

وأَقول: نلهو في مصايف مصرنا
ونـدور فـي فلـكِ المـراح بلعبـة
فيقول صَمْتُ عُيونها غير الذى
أهـوى، تُنَمّـى دون حقـدٍ ثروتـى!

* * *

يـا رحمـةَ الـرحمن صُبّى فوقها
سُحُبا تكـونُ ذخـيرةً لـذخيرتـى
وابْسُط لها الجنّاتِ فى مدد الرؤى
يا مالكَ الملكـوت واقبل دعـوتى
صَـبِّر فـؤادى عَـنْ فراقـى لّلتـى
مَلكتْ فُؤادى،ثُمّ راحتْ جنّتى!!



"الليلة الأخيرة"

رَقَدتْ كَسَوْسنةِ النّدى

والوجْهُ بدرٌ قد بَدَا!

ساءلْتُها عن حالها

شكرتْ إلاهًا مرشدا

شربتْ مياهًا من يدى

والصُّبحُ كان الموعدا

والْتَفَّ أبنائى بها

أَنِستْ وخَفَّت مرقدا

وانفضّ سامُر أُنسهم

واندسَّ بينهمُ الردى!!

فــى الــصّبح مِلــتُ مُودّعــا
وزفيُرهـــا صـــوتًا هَـــدَا
لم أقـــتربْ مـــن وَرْدتـــى
كـــيلا أُكلّفهـــا النّـــدا
ســـافرتُ قاصـــد حـــاجتى
وتركـــتُ قلبـــى رصّـــدا
نعـــق الغـــرابُ بـــساحتى
وبفقْـــــدها قـــــد رَدّدا
ذهـــل الفـــؤادُ وعـــادنى
ألمٌ قـــديمٌ قـــد عَـــدَا!!
يـــا ركْـــبُ حَـــوِّل وِجهتـــى
كيمـــا أكـــون أنـــا الفـــدا

لكنّــــه كـــان القَــضا

بـــــأميرتى أُمِّ الهُـــــدى

يـــا ربّ بلّـــل قبَرهـــا

بـــالقَطْر دَفَّـــاق النَّـــدى



"اكتئاب"

عَرفْتُ الحياةَ بدون أليفْ
بقلبٍ كئيبٍ ووجْهٍ مُخِيفْ!!
ورأسٍ مُطِلٍّ بلا قَسَمَاتٍ
كعفريتِ جنٍّ بليلِ الخريف
أدور وحيدًا على غُرفتي
فلا صوتَ يعلو بصوتِ الصَّريف
وأقرأ صورةَ ماضٍ تولَّى
بِسِنٍّ ضحوكٍ وريحٍ رفيف
فألمس صفحةَ نورِ الليالي
فتنهرُني كَفُّ صَمْتٍ عنيف

أُجالسُ وحشة أُنسٍ تَمطّى

وغادر عبْقًا يَدُكّ الأنوف!!

* * *

أُحابى الخيالَ فلا يَحْتوينى

وأَسرقُ عفوةَ ليل سخيفْ

أَليفةُ عمري بقبرٍ ثوتْ

وفاتتْ أَليفًا يُعانى الحُتوف

تركتِ نَصيفا بنارٍ تلظّى

بفقدىَ أَغْلى وأَنْقى نصيف!!

لنا بصماتٌ بكلِّ طريقٍ

مشيتُ إليه، وكنتِ العَرِيف

فكيـف تـروحُ لهـا قَـدَماىَ

ودون وُصولى مئاتُ الصُّفوف؟!

فَقَـدْتُ بفقـدكِ كـلَّ جميـلٍ

وكـلَّ رزيـنٍ أبـىٍّ عفيـف

فيـا ربّ صـبّر فـؤادى لهـا

وَعطّـر ثراهـا بِقَطْـرٍ وَطِيـفْ



"وجاءتنى العمادة ـ قبل موتها بيومين!!"

جَاءتْ لـيَ"العمادهْ" ∴ لم تَحمـل السعادهْ

ماتـتْ حيـاةُ قلبـى ∴ مـا قيمـةُ الريـاده؟

سـعتْ لهـا بـدفعى ∴ ومـا بغَـتْ قيـاده

عليهـــا آثرتْنـــى ∴ فى الجاه والسّياده

كانــتْ لنـا شموعـا ∴ تُـضئ بالزيــاده

لا تَبتغـــى نَـــوَالاً ∴ إلا رضَـا العبــاده

* * *

يــا رحمــةً تجلّــتْ ∴ مِن سـاعةِ الـولادهْ

يــا نِعْمــةً تحلّــتْ ∴ بــالخير والإفــاده

يــا بهجــةً تولّــت .:. مِنْ غير ما إراده!!
يا أُنْسَ رُوحِ روحى .:. يــا حَبَّــة القِــلاَدهْ
أَعــيش دون قلــبٍ .:. فقــد أضــاع زادَه
إلاهنــا وربّــى .:. اكتــبْ لها الـسعاده
لِــصبْرها لِبَلْــوى .:. أحْسِنْ لها الوِفَادَهْ



"طريق النور"

قَـد أنـارتْ لـي طريقـى

باسْـم إخـلاصٍ حقيقـى!!

كُـلُّ أسـرارى لـديْها

فهْـى زوجـى وصـديقى

وهْـى كُـلُّ الأمنيـات

لـو سَعَى قلبـى لـضيق

لم أُفكّـر فـى حيـاتى

دون أيـامِ الرفيـق

كـلُّ حِلمـي فـي حُمـولي
لُجّـــةٌ فـــوق الغريـــق
تـــسبحُ الأحـــزانُ فـــوقي
فـــإذا بِـــي فـــي الـــسّحيق
أَدفـــــع الآلامَ دفعـــــا
كـــي أرى نُـــور الـــشروق
أَختبـــي خلـــف الـــدموع
بَعْـــد كتمـــاني حُروقـــي
واللّيـــالي، مـــا اللّيـــالي
نَجْمُهـــا الـــسَّاهي رفيقـــي

أَمتطـــى خَـيْطَ الّثكـــالى

أرتقـــى قطْـــعَ الطريـــق!

* * *

يـــا رفيقًـــا غـــاب عنّـــى

بعـــد وقْـــتٍ مِـــن عَقيـــق

مـــا عرفـــتَ الــصَّدَّ يومـــا

كـــم عَفَـــا عنّـــى عقـــوقى؟!

ذُقـــــتُ آلام البرايـــــا

واخْتَبـــا المُـــرُّ بِريقـــى!

وسَـــرَى هَمّـــى بقلبـــى

راح يَجـــرى فـــى عروقـــى

* * *

يــا إلاهـــى يــا رحيمًــا

جَازِهــا أجْــرَ الــصَّدُوق

واسْــقها الكــافورَ كأسًــا

ثُــمَّ مَخْتُــومَ الرَّحِيــقِ!!



"مات نصفى"

لَهْـف نفـسى ، مـات نـصفى
فَبَـــدَا لـــي كُـــلُّ ضَـــعْفى!
لم تكـــنْ زوجـــى وحـــسبى
إنمـــا تَـــسْرى بطيفـــى
عاشـــرتْنى واحتـــوتْنى
فـــى مـــساراتى وعُنْفـــى
صَـــادقتْنى فـــى عُلـــومى
مِـــن وُرَيقـــاتٍ لِأَلْـــفِ
رافقتْنـــى فـــى خُطـــاى
ترســـم الميـــزانَ خلفـــى

تَفتـــدينى فـــى دُناهـــا
تَرتجينـــى ألْـــفَ صَـــيْفٍ!!
أَبْجـــــدياتى لـــــديْها
فـــى مُناهـــا قبـــل حَرْفـــى
تقـــرأُ الأحـــلامَ منّـــى
قبـــل مَـــسْراها بجـــوفى
تـــوْءمٌ فـــى كـــلّ معنـــى
شـــابَه الثـــانى بلطـــف
تـــسأل الآلامُ قلبـــى
بُـــحْ بِـــسِرٍّ دون خـــوف
يَهـــزأُ القلـــبُ المُعنّـــى
مَـــن يُـــواتينى بكـــشْفِى؟!

* * *

لهف نفسي ، مات نصفي

كيف أحيا دون نصفي ؟!

دارت الأحزانُ فوقي

إنني أسعى بخسف !

لا أُجاريها الليالي

والرياح عند عَصْف

لا أُبالي ما أُبالي

عند عيشي ، عند حَتْفي

كلُّ شيء لا يُساوي

لحظةً في يوم عَطْف !!

واسْتباقاتُ المنايا

تَنْتقي أجوادَ عَرْفِ !!

فانْشُريها في البرايا
واسْمعيها لَحْنَ عزْف

واكتُبيها للصَّبايا
عَهْدَ خِلٍّ قد يُوفيِّ

واسْكُبيها في عيونٍ
نَرتضيها خَيْرَ رَشْف

ضاعتِ الأحرُفُ منّي
ويَرَاعي رام قَصْفِي

لَهْف نفسي، مات نصفي
كيف أحيا دون نصفِ؟!



"خَيْمَةُ مِنْ يُتْم"

خَـــيَّمَ اليُـــتْمُ علينــــا

فـــى الــصَّباح والمــساءْ!!

لا يَــرى الواحـــدُ منّــا

غــير سُــحْبٍ مــن بــلاء

ضــاعت البــسْماتُ منــا

واختفـــى عنّــا الــضياء

واغتربْنــا عـــن ديــارٍ

ضَـــمَّنا فيهـــا الـــصّفاء

قـــد عرفنـــا الحُـــبّ فيهـــا

مالـــه أضـــحى هبــاءْ؟!

واقْتــــسمنا الــــودّ يومــــا
بَــــيْنَ أخْـــــذٍ وعطـــــاء
مـــــا رأيناهــــا ظلامــــا
فــــى خريـــفٍ أو شـــتاء
أيــــن تِبْـــرى ونُجــــومى
أيــــن أفــــلاكُ الــــسماء؟
كـــــلُّ شـــئ لا يبــــالى
غــــير قلبـــــى بالعَنـــــاءْ!!

* * *

هــــذه دارى وهــــذى
خَيمتــــى أمـــستْ خـــواء

غَالَهــا رَغْمــى بــصبحٍ

إنّــه أمْــرُ القــضاء

خلّــف الآلامَ ثكلــى

مــا لنــا غــير الرضــاء

يــا إلاهــى يــا لطيفــا

يــا مُجيبــا للــدعاء

جازِهــا خــيرا وفــضلا

فــى جِنــانٍ وهنــاءْ



"عِيدٌ بلا عِيد"

اليـوم عيـدُ زواجنـا لم يكتمـلْ

عـشرون يومًا قبلـه حـان الأجـلْ!!

من رُبع قرنٍ أو يَزيد ونحـن فـى

شَـغَفٍ لهـذا العيـد يـا نـور الأمـل

وَهَـدِيَّتى بتحيّتـى: عـامٌ مـضى

فى الثغر ألمحُ فرحةً فيها الخجـل

ضاعتْ أمانى عُمرنا فى لحظـةٍ

وتصلَّب الدمعُ الخرير على المُقَلْ

ذابتْ شموعُ موائدى فـى حـسرةٍ

وفَتيلـها الرَيَّـانُ يـأبى يَـشتعل!!

و"التُّورْتَـةُ" الخرسـاء بـاء لـسانُها

بمرارةِ الأحزان يَلْعقُ مَا هَطَلْ!!

قلبـى يـئنّ ويَـصطلى مـن نـاره

ودموعُـه الحَـرّى تَفُـتّ بـلاَ بَلـلْ

***

يـا ليلــةً لــيلاء غــاب ضــياؤُها

وبقيتُ أَخبطُ فى الظّلام،فما العمل؟

يـا ربّ نـوّر قـبر مَـن كانـت لنـا

نُــورًا يهــلّ إذا تُعادينــا الــسُّبُل

واغسلْ حشاها بالثلوج مع البَرَدْ

وارفعْ خطاها عند فردوس النُّزُلْ!

٦/١٠/٢٠١٥م

ختام

واقتداء برسولنا الكريم - ﷺ - فى الوفاء للزوجة فى حياتها وبعد مماتها، رأيت أن أختم هذه الدموع بقصيدة نظمتُها داخل منظومة السيرة النبوية للأطفال بعنوان:

زواجه من السيدة خديجة . رضى الله عنها .:

"خديجـةُ" أُمُّنـا الكـبرى
دعتْـه لنفـسها طُهْـرا
أرادتْـه لهـا زوجـا
"نُفيسةُ" كانـت البـشرى

وجـــاء العـــمُّ يطلبهـــا

ويخطـــب خطبـــة كـــبرى

أشـــاد بـــصدق هادينـــا

رآه الـــصدق والطهـــرا

وأمهرهـــا وأكرمهـــا

وأعلـــى عرســـها ذكـــرا

* * *

تزوجهـــا فواســـتْه

بـــأخلاقٍ لهـــا تـــترى

وغذّتـــه بـــأموالٍ

وأحـــلام غـــدت فخـــرا

وتكـــــبرُه بـــــأعوام

بخمـــسٍ ثـــم زد عـــشرا

* * *

لهـــا فـــى الـــدين رايـــاتٌ

تـــصدّ الجهـــل والكفـــرا

وَفَـــى الهـــادى لهـــا عهـــدا

ودام بعهـــــده عمـــــرا

حكـــى عنهـــا ومَجَّـــدها

وقـــال "لعـــائش" عـــذرا:

تُـــصدّقنى، تُواســـينى

وتُعطينـــى الرضـــا بـــشرا

وكـــذّبنى أولـــو الجـــاه

ومنعـــوا عنّـــىَ الخـــيرَا

وجـــاءتْنى بـــأولادٍ

فكـــانوا العـــزّ والنـــصرا

رعاهـــا اللهُ مـــن أُمٍّ

وأعطاهـــا العُـــلا ذُخـــرا



فهرس الدراسة

فهرس الديوان

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين